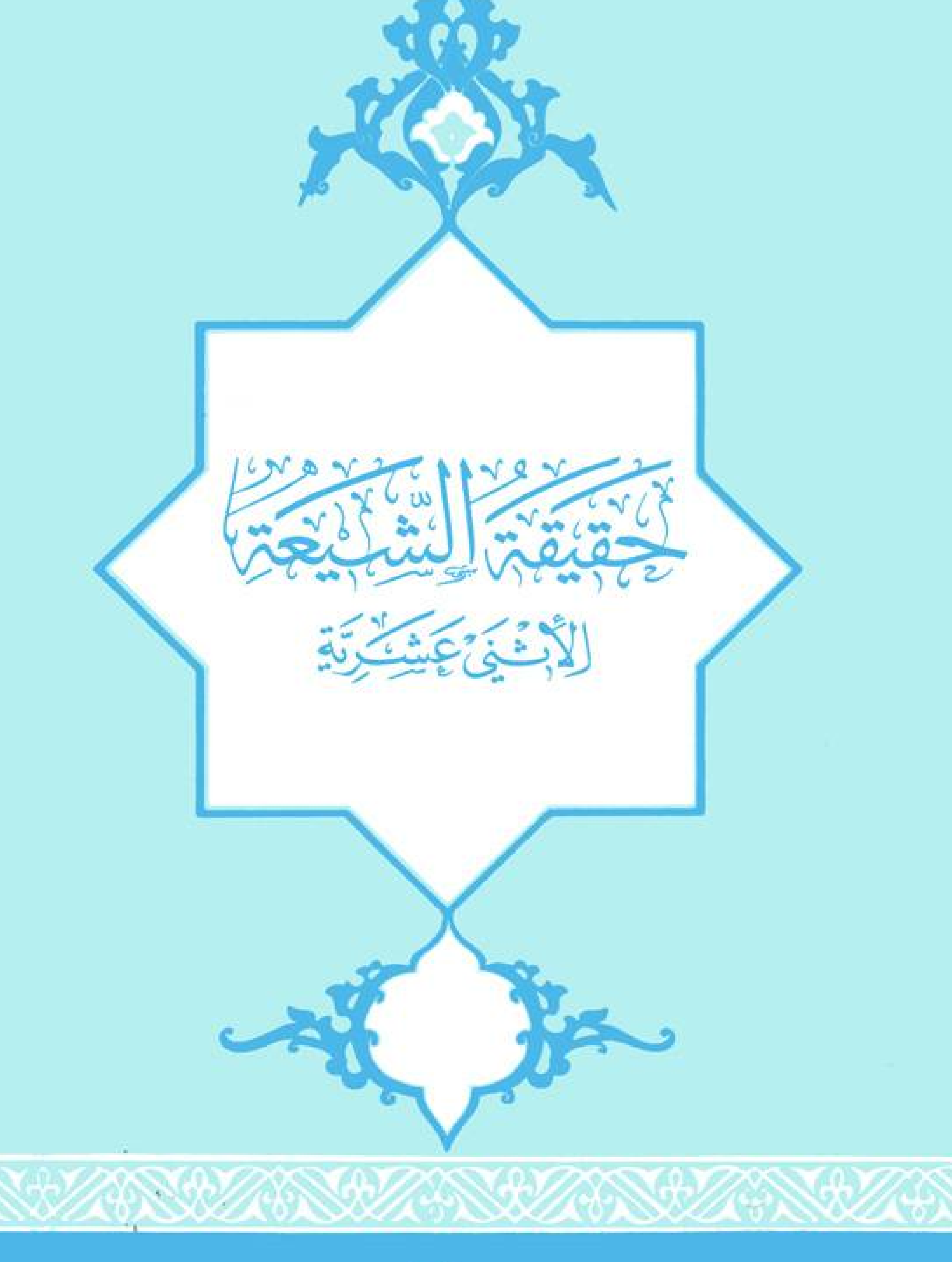


تأليف
أسعد وحيد القاسم

حقيقة الشيعة

الاثني عشرية

بحث يعالج مسألة الخلاف بين السنة والشيعة
من المصادر المعبرة عند أهل السنة و الجماعة

تأليف
أسعد وحيد القاسم

موسسة المعارف الاسلاميّة

قاسم ، اسعد وحيد
حقيقة الشيعة الاثني عشرية ، بحث يعالج مسألة الخلافه بين السنّة والشيعة من المصادر المعتبره عند أهل السنة و الجماعه / السعد وحيد القاسم . قم : موسسة المعارف الاسلامية ١٤٢١ ق .= ١٣٧٩ .
١٩٦ ص .
عربي . ISBN : ٩٦٤ – ٦٢٨٩ – ٨٦ : X
كتابنامه بصورت زير نويس .
١. شيعه اماميه-- دفاعية ها و رديه ها. ٢. علي بن ابي طالب، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت – ٤٠ ق -- اثبات خلافت -- شيعه -- عقايد . ٣. فقه تطبيقي . الف . بنياد معارف اسلامي . ب. عنوان ج . بحث يعالج مسأله الخلافة بين السنّة والشيعة من المصادر المعتبرة عند أهل السنّة و الجماعة.
٧ح ٢ ق / ٥ / ٢١٢ BP ٢٩٧/٤٧٩
كتابخانه ملى ايران ٧٩/١٠٨٨٥ م

هويّة الكتاب :
اسم الكتاب : ....حقيقة الشيعة الإثني عشرية
تأليف : ....أسعد وحيد القاسم
نشر : ....موسسة المعارف الاسلامية
الطبعة : ....الاولي ١٤٢١ هـ. ق
المطبعة : ....عترت
العدد : ....٢٠٠٠ نسخة
شابك : .... ٩٦٤-٦٢٨٩-٨٦ – x

قم – ص . ب ٧٦٨ – تلفون ٧٣٢٠٠٩ – فاكس ٧٤٣٧٠١


بسم الله الرحمن الرحیم

المؤلِّف:

باحث عن الحقيقة، جاهد في سبيل الوصول إليها جهاداً مريراً حتى هداه الله إلى سواء السبيل ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾.

ولد في قرية دير الغصون في الضفة الغربية بفلسطين المحتلة. أنهى دراسته الثانوية ثم سافر إلى الأردن فحصل على دبلوم في المهن الهندسية. ثم سافر إلى الفليبين فحصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية ثم الماجستير في إدارة الإنشاءات Construction Mangement وهو على وشك الحصول على شهادة الدكتوراه في الإدارة الحكومية بعد إنجاز بحثه:

Islamic Puplic Administration.

المقدمة

كم هو مؤسف حال المسلمين في أيامنا وقد تداعت عليهم الأمم كما تتداعى الآكلة على قصعتها، بعد أن نجح الاستعمار في بث الفتنة والتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة، وتوسيع هوة الخلاف بينهم تحقيقاً لأغراضه الخبيثة، والتي لا تتحقق إلاّ بضرب المسلمين بعضهم ببعض.

وقد صعب على أعداء الإسلام، أن يروا تنامي الصحوة المباركة في نفوس أبناء أمتنا الإسلامية، والسعي لتحكيم القرآن والسنة في بلداننا، لا سيما بعد نجاح إحدى هذه المحاولات والتي أحدثت صدمة هائلة للاستكبار العالمي الذي ما انفك يحاول القضاء عليها بشتّى الوسائل والسبل، فأخذ يثير في السنوات الأخيرة ما كان دفيناً طوال مئات السنين الماضية من الخلافات الطائفية والتعصبات المذهبية بين أهل السنة والشيعة، وقد أوكلت هذه المهمة لعملاء

الاستعمار في منطقتنا الإسلامية لا سيما حكام الحجاز المتسلطين على المقدسات تحت غطاء ″خدمة الحرمين الشريفين″ والذين بدورهم أوعزوها إلى أجرائهم من وعاظ السلاطين في الجزيرة العربية وخارجها، بتأليف ونشر الكتب المختلفة التي تطعن بعقائد الشيعة وترميهم بالكفر والتمجّس والتهوّد والتنصّر وغير ذلك من الترهات، والتي وللأسف قد أوقعت الكثير من البسطاء والمتعصبين ضحايا لهذه الهجمة الشرسة، بعد أن صدقوا من غير تمحيص أو بحث كل ما جاء في تلك الكتب السامة، والتي وزعت بملايين النسخ في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

وقد تعرّضت ـ كغيري من المسلمين ـ لهذه الحملة، والتي كانت تقوم بها بعض الحركات وكأنّ مهمتها فقط هو حماية أهل السنة من الخطر الشيعي، وتوعيتهم بعقائد هذه الطائفة التي على حدّ قولهم تنبع من اليهودية والمجوسية. وقد استنكرت في البداية هذه الحملة نظراً للطريقة البعيدة عن الأدب والموضوعية التي يصفون بها حقيقة الشيعة، والتي كنت الأُحظ أنها تتسم أيضاً بالمبالغة والتهويل في أغلب الأحيان.

فالبرغم من أنّني ولدت لأبوين سنّيين في فلسطين، والتي غالبية سكانها الساحقة من أهل السنة والجماعة، وبالرغم مما كنت أعتقده بأنّ طائفة أهل السنة والجماعة هي الطائفة الصحيحة، إلاّ

أنّني لم أكن أرى كفر الشيعة.

فكل ما كنت أعلمه بشأنهم، هو رفعهم من منزلة علي، وتفضيلهم له على باقي الصحابة دون أن أعرف سبباً لذلك وهي غير المنزلة التي يعتقدها معظم أهل السنة باستحقاقه لها، والتي لا تتعدى كونه رابع الخلفاء الراشدين فهو صحابي يساوونه بمنزلة باقي الصحابة بمن فيهم معاوية وعمرو بن العاص، إلاّ أن هذه المبالغة بمنزلة علي لم تكن بنظري لتخرجهم من دائر الإسلام، وهذا بالرغم أيضاً من أنّه كانت تتردد أقاويل عندنا بأنّ الشيعة يفضلون علياً على خاتم الأنبياء، واعتقادهم بخطأ جبريل في تنزيل الرسالة بل تأليههم له في بعض الأحيان، وإنّ عندهم قرآناً غير قرآننا وغير ذلك. إلاّ أنني لم أكن ألقي لذلك بالاً، حيث أنّني لا أنسى ما حييت ما قاله مرة أستاذي في موضوع التربية الإسلامية في المدرسة الثانوية: (إنّ الشيعة طوائف متعددة منها ما كان يؤلّه علياً فعلاً، ولكن الطائفة الإمامية الإثني عشرية ـ أو كما تسمى بالجعفرية ـ هي أقرب الطوائف إلى أهل السنة، وأتباعها مسلمون) وبما أنّ هذه الكلمات كانت صادرة ممن أعتقد بصلاحه وتقواه وسعة علمه واطلاعه، وكذلك اعتداله وموضوعيته بنقد الآخرين من أصحاب المبادىء والنظريات المخالفة للإسلام أو لمذهبه السني، فإنّ هذه الكلمات ظلت ترنّ في أذني على مر الأيام والسنوات، وهذا فضلاً عن تأثري أيضاً بأحد

أقاربي الذي كان داعية لله لا أشك أبداً في إخلاصه وحرصه على وحدة المسلمين سنة وشيعة، وقد ترسخ هذا المفهوم في نفسي بعد ذلك حتى أصبح حقيقة واقعة وخصوصاً عندما علمت أنّ معظم علماء أهل السنة ودعاتهم في عصرنا، يرون بأن الشيعة مسلمون موحدون كالإمام الشهيد حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والعلامة المودودي، والشيخ عبدالحميد كشك، والشيخ العلامة محمد الغزالي، والشيخ شلتوت، والأستاذ البهنساوي، والتلمساني، وأنور الجندي، وحسن أيوب، وسعيد حوى، وفتحي يكن، وأبو زهرة، ويوسف العظم، والغنوشي، وغيرهم الكثير الكثير ممن أتشرّف بقراءة مؤلفاتهم، والتي ملأت رفوف مكتبات جيل الصحوة الإسلامية. وهكذا فإنّه لم يكن ليداخلني أي شك بأنّ الشيعة مسلمون، ولم أكن حتى أفرّق بين السني والشيعي لأنني كنت قد غضضت نظري عن تلك الفروق التي بينهما، والتي لا تجعل بأي حال، من الأحوال أحدهما مسلماً والآخر كافراً، والتي لم أكن أعلم تفاصيلها، ولم أكن مستعداً حتى للتفكير فيها أو حتى البحث عنها لشعوري بعدم الحاجة إلى مثل هذه البحوث التي تتطلب التنبيش في التاريخ، والدخول في متاهات قد لا توصل إلى أي نتيجة، وكنت مقتنعاً في ذلك الحين أنّ التقصي لمعرفة مثل هذه الفروق والاختلاف هو من نوع الفتنة التي ينبغي الابتعاد عنها أو الحديث فيها وخصوصاً أنّ الفريقين مسلمان. فبنفس النظرة التي كنت أنظر فيها إلى علي ومعاوية بأنهما مسلمين

بالرغم من كل ما حصل بينهما، فقد كنت أنظر كذلك إلى أهل السنة والشيعة.

وقد تزامن سفري إلى بلاد الغربة لتكملة دراستي الجامعية في منتصف الثمانينات، مع اشتداد سعير هذه الفتنة وتزايد ارتفاع الأصوات المحذرة من العقيدة الشيعية، والتي كانت غالباً مصحوبة بالطعن بالثورة الإسلامية في إيران وبشخص قائدها والذي كنت أعتقد بأنّه المستهدف الحقيقي من كل تلك الحملة، وكنت أحياناً كثيرة أجد نفسي معرضاً للنقد لا لشيء إلاّ لعدم اعتقادي بكفر الشيعة، وكلما كنت أحاول أن أدافع فإنّ الهجوم التالي كان يأتي أشدّ من سابقه، حتى أن أحدهم قال لي مرة بأنه يجب علي أن اختار طريقاً واحداً وأحدد مذهبي بوضوح، فلا يجوز أن أكون سنياً ومتعاطفاً مع الشيعة ومؤيداً للثورة الاسلامية في إيران في نفس الوقت، لأن هذه المسألة على حد رأيه مسألة (عقيدة!) لا يمكن التساهل فيها، ولا أخفي بأنه كانت تواجهني بعض اللحظات الصعبة والمحرجة لعدم معرفتي بتفاصيل المذهب الشيعي، فكنت لا أدري ما أجيب به على ادعاء البعض بأنّ ما عند الشيعة من عقائد مثل الإمامة والعصمة والتقية وتكفير الصحابة، فإنّها تخرجهم من الملة، حتى بدأ الشك يداخلني فعلاً حول حقيقة الشيعة، وتولد عندي اهتمام كبير بالاطلاع على هذه (العقائد)، وهكذا فقد وجدت نفسي مدفوعاً إلى

ما يحاول الكثيرون التهرب منه، إنّه البحث عن الحقيقة، في محاولـة لوضع حد لشهور طويلـة مـن الحيـرة والـشك. ولكـن كيـف سـأقوم بذلك؟ هل أكتفي بقراءة ما كتبه كتاب أهـل الـسنة الـذين يكفـرون الشيعة؟ لقـد قـرأت قبـل ذلـك الكثيـر منهـا ولـم أكتـسب أي قناعـة لابتعاد أغلـب كتّابهـا عـن الأدب والـروح العلميـة فـي البحـث التـي توجب الموضوعية وإعطاء الدليل. وهل أكتفي بآراء المعتدلين مـن أهل السنة والذين يعتبرون الخلاف بين السنة والشيعة ضـجة مفتعلـة كالغزالي والبهنساوي وعز الدين إبراهيم وغيرهم؟ ولكن هذه الآراء لا تحل المشكلة بل تبقيها معلقة ومن حيث بدأت.

ولم يبق أمامي سوى تقصّي الحقيقـة مـن كتـب الـشيعة، ولكـن هذا الخيار كنت أستبعده كلياً فـي البدايـة، لأننـي كنـت أعتقـد بـأنّ الشيعة في مؤلفاتهم سيستدلون على ما هم عليه من اعتقاد من خـلال أحاديثهم وطرقهم الخاصة بهم، والتي بالطبع لا تعتبر حجة عندنا. إلاّ أنّني حصلت لاحقاً على كتاب يسمى "المراجعات" مـن صـديق لـي تعرفت عليه حينهـا، وكـان لحسن الحـظ مهتمـاً مثلـي بالبحـث عـن حقيقة الشيعة، وكان بدوره قد حصل علـى ذلـك الكتـاب مـن أحـد أصدقائه الشيعة الذي نصحه بقراءتـه بعـد أن طلـب منـه صـديقي أن يعطيه كتاباً يتعرف من خلاله على عقائد الشيعة.

وكتاب "المراجعات"، هذا، وبالرغم من أن كاتبه شيعي إلاّ أنّه

ولدهشتي الكبيرة فإنّه يحتجّ بما يعتقده الشيعة من خلال كتب الحديث التي عند أهل السنة لاسيما الصحيحين منها.

وقد وجدت فيه ما يشجع فعلاً على البحث عن هذه الحقيقة التي حيّرت الناس وفرّقتهم، وكنت أحاول دائماً أن أشترك مع بعض الأصدقاء بالبحث والمناقشة حول ما حواه هذا الكتاب الذي كان عبارة عن مراسلات بين عالم سني هو شيخ الأزهر سليم البشري، وآخر عالم شيعي هو الإمام شرف الدين العاملي من لبنان حول أهم المسائل الخلافية بين السنة والشيعة، ولا أخفي بأنّ ما قرأته في ذلك الكتاب كان مفاجأة كبيرة لي، ولا أبالغ بالقول أنه كان صدمة العمر، فلم أكن أتوقع أبداً بأن الخلاف بين أهل السنة والشيعة هو بتلك الصورة التي رأيتها فعلاً من خلال ذلك الكتاب، واكتشفت بأنّني كنت جاهلاً بالتاريخ والحديث شأني شأن كل من اطّلع على هذا الموضوع ممن رأيت وقابلت، والذين كان من ضمنهم من يحمل الدكتوراه في الشريعة، كما سترى ذلك من خلال تفاصيل هذا البحث. وكان لشدّة وقع بعض الحقائق التي ذكرت في ذلك الكتاب علينا وبالرغم من ادعاء كاتبه بوجود ما يدل على ذلك من القرآن والصحيحين، فإنّ بعضنا أخذ يشك فعلاً بصحتها حتى أن أحد الأصدقاء قال: (لو صحّ فعلاً ما يزعمه هذا الكاتب الشيعي بوجود مثل هذه الحقائق في صحيح البخاري، فإنني سأكفر بجميع أحاديث البخاري بعد اليوم)،

إلاّ أنّه لم يكن يقصد ما يقوله، وكل ما في قصده كان بأنّ ذلك الكاتب الشيعي من المستحيل أن يكون صادقاً، وقد كان احساسنا جميعاً بأنّه لو صح فعلاً ما جاء في ذلك الكتاب، فإنه سيعني الكثير بالنسبة لنا على صعيد فهم حقيقة الخلاف بين السنة والشيعة.

وأصبح ضرورياً أن نتحقق مما جاء في كتاب "المراجعات" من خلال رؤيتنا لصحيح البخاري بأنفسنا، وقد وفقنا الله تعالى وبعد جهد جهيد من الحصول على نسخة من صحيح البخاري. ولم أتفاجأ أبداً بوجود كل ما أشار إليه ذلك الكاتب الشيعي في موضعه فعلاً في صحيح البخاري.

ولعل البعض يتساءل: لماذا كل هذا التركيز على صحيح البخاري؟ فمن المعلوم أن ما يحتج به من كتاب الله يحتاج إلى تأويل في أغلب الأحيان، ويحتمل له أكثر من معنى حسب تفسيره بالطبع، فمثلاً قوله تعالى: ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى....**﴾[1]، فهذه الآيات لم تذكر اسم العابس ولا الأعمى، فكان دور الحديث المروي ليوضح ذلك، وهكذا فقد احتلّ صحيح البخاري المكانة الأولى في الاعتبار من حيث الصحة بعد كتاب الله عند أهل السنة الذين ألزموا أنفسهم بكل ما فيه، وبذلك فإن الحديث يحسم ما اختلف عليه في تفسير آيات الكتاب الكريم.

---

[1] عبس: ١ ـ ٢.

وكلما كنت أقرأ كتباً إضافية حول هذا الموضوع، فإنّ الحقيقة كانت تبدو لي أكثر وضوحاً حتى ظهرت لي في النهاية بأجلى صورها وبما لا يقبل أي شك. إلاّ أنّ السؤال الذي أخذ يراودني دائماً يدور حول سبب إخفاء كثير من الحوادث التّاريخية وأحاديث الرسول ﷺ عنا بالرغم من توثيقها في المصادر المعتبرة عند أهل السنة، والتي من شأنها توضيح الكثير من الغموض الذي رافق مسألة الخلاف بين السنة والشيعة على مر القرون الماضية. فهل إخفاء الحقائق أو التعتيم والتشويش عليها يُقبل مبرّراً لمنع الفتنة كما يزعمون؟ أليست الفتنة كلها بإخفاء الحقائق وتزييفها؟

إنّني عندما بدأت بحثي حول هذه المسألة الحسّاسة، فإنّ أقصى أهدافي كانت بأن أتحقق من أن الشيعة مسلمون أم لا، ولم يكن عندي أي شك بأن الطريقة التي عليها أهل السنة والجماعة هي الطريقة الصحيحة، ولكنه وبعد الاطلاع والتقصي والتفكير ملياً في هذا الأمر، فإنّ النتيجة التي توصلت إليها كانت مفارقة مدهشة، ولكنني لم أتردد لحظة واحدة من قبول الحقيقة التي وجدتها. ولماذا لا أقبلها ما دام هناك ما يساندها من حجج وبراهين مما يعتبر حجة عند أهل السنة، وما دامت متمشية مع العقل الذي اعتبره جل وعلا حجة على الخلائق أجمعين؟ وقد تقبّل هذه الحقيقة أيضاً عدد لا بأس به من الطلبة عندنا، الأمر الذي أزعج بعض المتعصبين والذين

أفتوا بتكفيرنا وحتى عدم جواز رد السلام الذي نلقيه عليهم، وأثـاروا ضدنا الإشاعات والتي كانت أخفها أخـذ راتـب شـهري قـدره ٣٠٠ دولار من السفارة الإيرانية مقابل تشيّعنا، وأما صحيح البخاري الـذي احتججنـا بـه علـيهم فقـالوا بأنّـه مزيـف ولـيس صـحيح البخـاري الحقيقي!!؟

وأمام هذا الجهل والتعصب من جهة، ومظلومية الشيعة من جهـة أخرى، فقد ارتأيت أن أكتب خلاصة بحثي وأقدمه لكل باحث عن الحقيقة، وليطلع الملأ عليها. فمـا دام هنـاك مـن يفتـري علـى الـشيعة كذباً وتضليلاً، وقد جوّز لهم البعض ذلك، فإن الحق أحـق بـأن يكتـب وينشر.

وبـالرغم ممـا قـد يـسببه هـذا الكتـاب مـن الآم وجـروح لـبعض المتعـصبين، إلاّ أنّنـي أسـألهم: مـن المـلام فـي ذلـك؟ فبالنـسبة لهـذا الكتـاب والـذي يحـوي عرضـاً لآراء الفـريقين وتفنيـدهما فـي أهـم المسائل المختلف عليها، فإنّه لم يرد فيه شاردة أو واردة إلاّ ودعمت بالأدلة والبراهين، مما هو موضع الاعتبار والتصديق عنـد أهـل الـسنة كصحيحي البخاري ومسلم بالدرجة الأولى. فلماذا لا يلومون الجهل الذي منعهم من معرفة هـذه الحقـائق؟ أو أئمـتهم المتعـصبين الـذين أخفوها عـنهم؟ أو لمـاذا لا يلومـون البخـاري ومـسلم وغيرهمـا مـن علماء الحديث الذين أخرجوا في كتبهم ما سبب لهم هذه الصدمة؟

ولكن كيف يكون ذلك وقد ألزم أهل السنة أنفسهم بكل ما جاء في صحيحيهما؟ وطائفة الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي نقصدها في هذا البحث هي التي يعتقد أتباعها بخلافة علي وبقية أئمة أهل البيت الاثني عشر بعد الرسول ﷺ ، وأمّا ما اندرج تحت اسم الشيعة من طوائف تقول بألوهية علي أو بنبوته أو غير ذلك من الطوائف، فإن الشيعة منها براء. فلماذا يصر البعض على اعتبار هذه الطوائف من الشيعة؟ ولماذا يقومون بإشاعة هذه الترهات وغيرها مضللين بها عوام المسلمين وجهالهم؟ ولماذا هذا التزوير الشائن في تاريخ المسلمين ودينهم الحنيف؟

٢٦ شعبان ١٤١١ هـ

أسعد القاسم

مانيلا

الفصل الأوّل

الإمامة

إنّ الإمامة أو الخلافة تعني القيادة، وقد أصبحت مصطلحاً لقيادة المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ، والتي لا يمكن لأحد أن ينكرها بهذا المفهوم، ذلك أنّ القيادة مطلب فطري لأية جماعة، وقد كان اختلاف المسلمين من السنة والشيعة حول طريقة تعيين الإمام أو الخليفة والدور الذي يقوم به، وهو يعدّ من أعظم الاختلافات بينهم على الاطلاق، وإنّ باقي الاختلافات ما هي إلاّ نتيجة طبيعية لهذا الاختلاف الكبير، ذلك أنّ الإمامة كما يراها الشيعة بنص من الرسول ﷺ ومختصة بالأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، وأنّ معرفة أحكام الإسلام بعد رحيل الرسول ﷺ يكون بالرجوع إلى هؤلاء الأئمة أو إلى الصحيح مما روي عنهم، وإذا تعارض قولهم مع قول غيرهم فإنّه يجب الأخذ بقولهم بوصفهم الخزانة الأمينة لسنة المصطفى ﷺ .

وأمّا الإمامة عند أهل السنة فإنّهم قالوا: إنّها بالشورى، ولكنّهم

لا يمانعون أن تكون بنص من الخليفة السابق إلى اللاحق، كما في حالة الخليفة أبو بكر رضي الله عنه الذي نص على خلافة عمر رضي الله عنه ، وكذلك يجوزون أن تؤخذ الخلافة بالقّهر وغلبة السيف كما في حالة الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية. وأما معرفة أحكام الإسلام عندهم فإنّها تكون بالرجوع إلى الصحيح مما روي عن طريق الصحابة من غير تفريق بينهم، حيث اعتبروا جميع الصحابة عدولاً وثقاة بالرغم من أن قسماً كبيراً منهم تورط في معركتي الجمل وصفين، وقد أعملوا القتل ببعضهم البعض في تلك المواقع وغيرها من الحوادث التي تجعل عدالة كثير منهم في محل شك وتساؤل. وسترى شرحاً وافياً حول عدالة الصحابة في فصل لاحق إن شاء الله.

وما دامت الحال هكذا، وبوجود الاختلاف بين الشيعة وأهل السنة، فالأجدر قبل إصدار حكم ببطلان مذهب أو تفضيل طريقة على أخرى التريّث والنظر فيما ذهب إليه كل فريق من حجج وبراهين، وقد خصصنا بحثنا لهذا الغرض، حيث نجمل فيما يلي النصوص التي تمسك بها الشيعة كأدلة تثبت مذهبهم في الإمامة ورد أهل السنة على ذلك على النحو التالي:

أولاً: الأدلة في إثبات إمامة أهل البيت.

ثانياً: الأدلة في إثبات عدد أئمة أهل البيت.

ثالثاً: الأدلة في إثبات استخلاف النبي لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

نصوص الإمامة

أولاً: الأدلة في اثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام

إنّ النصوص المروية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إمامة أهل البيت على الأمة من بعده كثيرة، نورد هنا أشهرها:

فمن صحيح مسلم، بسنده عن زيد بن أرقم قال: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإنّي تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.... وأهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي" [1].

ومن صحيح الترمذي، بسنده عن جابر بن عبدالله قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب، فسمعته يقول: يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي" [2].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي ج٤ ص٢٨٧٣ ح٣٦.

[2] صحيح الترمذي ج٥ ص٦٦٣ ح٣٧٨٨.

وهذا الحديث لو لم يوجد غيره لكفى في إثبات أحقية مذهب الشيعة الذي يوجب التمسك بأهل البيت عليهم السلام بالإضافة إلى الكتاب الكريم، حيث نجد في هذا الحديث أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واضحاً في أتم صور الوضوح بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام من بعده، وإن هذا التمسك بالإضافة إلى الأخذ بالقرآن الكريم هو شرط النجاة وعدم الضلال.

وبالرغم من أن مسلماً وكثيراً غيره من علماء الحديث من أهل السنة قد أخرجوا هذا الحديث في صحاحهم ومسانيدهم، إلاّ أنّه ولدهشتي الكبيرة أجد معظم أهل السنة يجهلونه بل وينكرونه عند سماعهم به وكأنه غير موجود، ومحتجين بأن الصحيح في ذلك هو ما رواه أبو هريرة بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إنّي قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما أبداً ما أخذتم بهما أو عملتم بهما: كتاب الله وسنتي" [1].

وعند التقصي عن مصدر هذه الرواية، وجدت أنّها لم تروَ في أي من الصحاح، وقد ضعّفها [2] كل من البخاري والنسائي والذهبي

---

[1] السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١١٤، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: ص٩٤.

[2] ذكر الدكتور أحمد بن مسعود بن حمدان في تحقيقه لكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص٨٠: "سنده ضعيف: فيه صالح بن موسى الطلحي، قال فيه الذهبي: ضعيف، وقال يحيى: ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك".

وغيرهم، وقد رواها الحاكم في مستدركه الذي يعتبر بإجماع علماء أهل السنة أقل درجة من صحيح مسلم الذي أورد حديث "...كتاب الله وعترتي أهل بيتي" [1].

وعلى فرض عدم تعارض الروايتين، فإنّه لابد من التسليم بأن المقصود بكلمة "سنتي" في رواية الحاكم هو السنة المأخودة عن طريق أهل البيت النبوي وليس غيرهم كما يتبين بوضوح في رواية مسلم.

أما التمسك برواية الحاكم ".... كتاب الله وسنتي" وترك رواية مسلم ".... كتاب الله وعترتي أهل بيتي" فإنّ في ذلك مخالفة ليس فقط لما أجمع عليه علماء الحديث من أهل السنة بتقديم أحاديث مسلم على أحاديث الحاكم، بل ومخالفاً أيضاً للمنطق والعقل، ذلك أنّ كلمة "سنتي" مجردة كما في رواية الحاكم لا تفيد علماً، فجميع الطوائف الإسلامية تزعم أنها تتبع سنة النبي ﷺ، وبالنظر إلى وجود الاختلافات الكثيرة بين هذه الطوائف، والتي غالباً يكون سببها الاختلاف في السنة النبوية المنقولة إليها عبر طرق مختلفة والتي تعتبر مفسرة ومكملة للقرآن الكريم الذي أجمعت جميع طوائف المسلمين على صحة نقله، وهكذا فإن الاختلاف في الحديث المنقول ـ والذي أدّى إلى الاختلاف أيضاً في تفسير القرآن ـ أصبحت

[1] المستدرك ج ١ ص ٩٣.

السنة النبوية سنناً متعددة والمسلمون تبعاً لذلك أصبحوا مذاهب وفرقاً متعددة أيضاً، رُوي أنّ عددها ثلاث وسبعين فرقة.....فأي سنة من تلك السنن أحق بالاتباع؟، وإنّه لسؤال فطري يدور في خلد كل من يتمعن في هذا الاختلاف والذي جاء الحديث أعلاه ليجيب عليه حتى لا يترك المسلمين هكذا يحيرون في إسلامهم بعد رحيل مبلغه، فكانت التوجيهات النبوية المقدسة تقضي بأخذ السنة النبوية المطهرة عن طريق أهل البيت النبوي الذي نطق القرآن بتطهيرهم، وهي بذلك واضحة لا تحتمل ألفاظها أي معنى آخر، وإنّ ذلك الأخذ هو وحده الأمان من الفتنة والضلال.

وهنا يطرح سؤالان لا تكتمل الصورة وضوحاً إلاّ بالإجابة عليهما:

أولهما: من هم أهل البيت المقصودون في الحديث السابق؟

ثانيهما: لماذا خصص الحديث الأخذ عن أهل البيت فقط وليس عموم الصحابة كما يقول أهل السنة؟

من هم أهل البيت؟

يروي مسلم في صحيحه، بسنده عن صفية بنت شيبة قالت: "قالت عائشة: خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم

جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ [1] . [2]

ومن صحيح مسلم أيضاً: "... ولما نزلت هذه الآية ـ ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم**﴾ [3] ـ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي [4] .

فمن الحديثين السابقين يتبين أنّ أهل البيت في عهد النبي ﷺ هم: علي وفاطمة وابناهما، ولكن ماذا بالنسبة لنساء النبي ﷺ ؟

يروي مسلم في صحيحه عن الرسول ﷺ ، بسنده عن زيد بن أرقم أنّه قال: "... ألا وإنّي تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عزّوجلّ هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة، وفيه فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وأيم والله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع

---

[1] الأحزاب: ٣٣.

[2] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل الحسن والحسين ج٤ ص١٨٨٣ ح٦١.

[3] آل عمران: ٦١.

[4] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي ج٤ ص١٨٧١ ح٣٢.

بعده" [1].

ومن صحيح الترمذي بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية ـ ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ ـ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً وعلي عليه السلام خلف ظهره، فجللهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء هم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير" [2].

ومن مسند أحمد بسنده عن أم سلمة: "أنّ رسول الله ﷺ ، قال لفاطمة عليها السلام : وائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكياً (قال) ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إنّ هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنّك حميد مجيد، قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير" [3].

وبالرغم من وضوح الأدلة السابقة في تعيين أهل البيت، إلاّ أنّ البعض يعارض ذلك محتجاً بالآيات التالية من سورة الأحزاب في

---

[1] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي ج٤ ص١٨٧٣ ح٣٦.

[2] صحيح الترمذي ج٥ ص٦٦٣ ح٣٧٨٧.

[3] مسند أحمد ج٦ ص٣٢٣.

دلالتها على شمول أهل البيت لنساء النبي ﷺ ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتنَّ تُردنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أُمتّعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتنَّ... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا**﴾[1] وكما يظهر، فإن حجة هؤلاء القائلين باشتمال أهل البيت على نساء النبي إنما تأتي لوقوع ـ ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ ـ في نفس الآية التي نزل جزء منها في نساء النبي، ويمكن تفنيد هذا الرأي من عدة وجوه منها:

١ ـ إنّ نزول الآيات القرآنية بشأن تهديد نساء النبي ﷺ بالطلاق، ومن ثم إرادة الله بتطهير أهل البيت جاء متتابعاً، لا يعني بالضرورة أن يكون المقصود بالمناسبتين هو نساء النبي، ذلك أنّه يوجد كثير من الآيات في القرآن الكريم من هذا النوع حيث تجدها تحوي أمرين مختلفين ولعل سبب وقوعهما معاً في نفس الآياية هو التوافق في زمن حصول المناسبتين، ومن أمثلة هذه الآيات: ﴿**حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع إلاّ ما ذكّيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت**

[1] الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٣.

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً * فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾[1] ، حيث تجد في هذه الآية مجيء الحديث بشأن إكمال الدين في وسط الحديث بشأن المأكولات المحرمة.

٢ ـ ما يؤكد عدم دخول نساء النبي ﷺ بمقصود هذه الآية هو أنّ الكلام بشأن نساء النبي ﷺ جاء بضمير الجمع المؤنث، كنتن.... منكن.....لستن.... تخضعن...وقرن في بيوتكن....تبرجن....وعندما بدأ الكلام بشأن التطهير تحول ضمير المخاطب إلى ضمير الجمع المذكر ـ عنكم..... ويطهركم ـ وليس عنكن.... ويطهركن.

٣ ـ الأحاديث الصحيحة السابقة من صحاح مسلم والترمذي ومسند أحمد وغيرها تثبت بدلالة قاطعة عدم دخول نساء النبي ﷺ ضمن أهل البيت. حيث كانت إجابة الرسول ﷺ عندما سألته أم سلمة رضي الله عنها ـ...وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك أنت على خير ـ وفي رواية مسلم: ".... من أهل بيته؟ نساءه؟ قال: لا....".

٤ ـ وفي حديث الثقلين الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما:

---

[1] المائدة: ٣.

"... يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي" يظهر أن المقصودين في ذلك يجب التمسك بهم، فإذا فرضنا جدلاً أنّ نساء النبي ﷺ هن المقصودات أو هن ضمن المقصودين في الحديث، فبأي صورة من الصور سيتمسك بهن المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ ؟ ويجب مراعاة أنهن قد أمرن بالتزام بيوتهن. في الإجابة على هذا السؤال فضلاً عن أنّهن وجدن جميعاً في عصر واحد، وإذا قيل أنّ التمسك بهن يكون بالأخذ مما روي عنهن من أحاديث فنقول: إنّه وجد منهن من لم ترو ولو حديثاً واحداً.

٥ ـ إن الرجس المقصود في الآية: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾يعني في اللغة القذر وهو للدلالة على الإثم، والطهارة في اللغة تعني النظافة وهي للدلالة هنا على التقوى.

فالمراد من إذهابه سبحانه وتعالى الرجس عنهم هو تبرئتهم وتنزيههم عن الأمور الموجبة للنقص فيهم، وأي ذنب مهما صغر فإنّه موجب في نقص مقترفيه، وهذا يعني أنّ الله تعالى أراد تطهير أهل البيت من كل الذنوب صغيرها وكبيرها، وما ذاك إلاّ العصمة والتطهير. وأما إذا قيل أنّ المراد بالتطهير في هذه الآية هو مجرد التقوى الديني بالاجتناب عن النواهي والامتثال للأوامر، فإن ذلك

مـردود لأن التطهيـر بهـذا المعنـى لـيس مختـصاً بأهـل البيـت وإنمـا هو لجميع المسلمين المكلفين بأحكـام الـدين كقولـه تعـالى: ﴿ **مـا يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم ويـتم نعمتـه عليكم**﴾ [1].

وهكذا، فإنه إذا سلمنا بعصمة من نزلت الآية بحقهم، فـإن نـساء النبي ﷺ لسن من ضمنهم لأنهن لسن مـن المعـصومات، فبالإضـافة إلى أنّه لم يقل أحد من الأولين أو الآخرين بذلك فإنّه عرف تهديـد الرسول ﷺ لهن بالطلاق وغير ذلك مما ستراه في فصل لاحق.

شواهد إضافية على عصمة أهل البيت:

١ ـ حديث الثقلين: "...إني تركت فـيكم مـا إن تمـسكتم بـه لـن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتـي" حيـث يظهـر مـن هـذا التوجيـه النبوي أنّ شرط عدم الضلالة هو التمـسك بالكتـاب والعتـرة، ولـيس من المعقول أن من يحتمل وجود الخطأ أو الزلل فيه يكون مأمناً من الضلال، وهذا دليل على عـصمة الثقلـين، كتـاب الله (الثقـل الأكبـر) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأهل البيـت (الثقـل الكبير).

٢ ـ الآية القرآنية: ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمّهنّ** ❊

[1] المائدة: ٦.

قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً ۞ قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [1].

ففضلاً عن أنّ هذه الآية تشير إلى علو منصب الإمامة ورفعته، فإنّها تدلّ كذلك على أنّ نيل عهدالله (إمامة البشرية) لا يمكن أن يكون من نصيب ظالم، والخطيئة بصغيرها وكبيرها تجعل من مرتكبها ظالماً، فكان لابد أن يكون الإمام معصوماً عن ارتكاب أي خطيئة أو إثم.

٣ ـ وفي مستدرك الصحيحين، يروي الحاكم بسنده عن حنش الكناني: "قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: يا أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ومن أنكرني فأنا أبوذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" [2]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

٤ ـ وفي مستدرك الصحيحين أيضاً، بالسند عن ابن عباس: "قال رسول الله ﷺ : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا

---

[1] البقرة: ١٢٤.

[2] مستدرك الصحيحين ج٢ ص٣٤٣.

فصاروا حزب إبليس " [1].

٥ ـ ولمزيد من التوضيح في تبيان تلك المنزلة الرفيعة التي حظي بها أهل البيت، نذكر بعض الأحاديث المروية في صحيح البخاري والتي تشير إلى نعت أهل البيت بكلمة عليهم السلام وقد اختصوا بهذا النعت دون غيرهم من جميع الصحابة وأزواج النبي، وهذه أمثلة لذلك كما رواها البخاري في صحيحه:

"عن علي عليه السلام قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم، وكان النبي (ص) أعطاني شارفاً من الخمس، فلما أردت أن ابتني بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ..." [2] وكذلك: "... وطرق النبي صلى الله عليه وسلم باب فاطمة وعلياً عليهما السلام ليلة للصلاة" [3] وفي رواية أخرى: "... قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحسن بن علي عليهما السلام يشبهه...." [4] وكذلك: "...عن علي بن الحسين عليهما السلام أخبره...." [5]، وقد يقول قائل إن ذلك لا يدل على تميزهم، ولكن السؤال: لماذا اختصوا بها وحدهم دون غيرهم؟

---

[1] مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٤٩.

[2] صحيح البخاري ج٣ ص٧٨ كتاب البيوع باب ما قيل في الصواغ.

[3] صحيح البخاري ج٢ ص٦٢ كتاب التهجد.

[4] صحيح البخاري ج٤ ص٢٢٧ كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

[5] صحيح البخاري ج٩ ص١٦٨ كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة.

٦ ـ وقد أمر الرسول ﷺ بأن تكون الصلاة على آل بيته ملازمة للصلاة عليه، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بالسند عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: أهدى لي هدية؟ إنّ النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد" [1]، ووجه الإرتباط في هذا الحديث بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وآله من جهة، وبين سيدنا محمد وآله من الجهة الأخرى، هو أنّ إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً وآله أيضاً كانوا أنبياء ومرجعاً للناس من بعده، وهكذا كان آل محمد الخزانة الأمينة للرسالة المحمدية حيث أنّ المسلمين قد أمروا بالرجوع إليهم بعد وفاة المصطفى ﷺ ، إلاّ أنّهم كانوا أئمة وليسوا أنبياء كآل إبراهيم، وكما جاء في حديث الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبي بعدي" [2] وسيأتي الكلام في هذا الحديث لاحقاً.

ويفهم من جميع ما سبق أنّ الله جل وعلا قد اختص أهل البيت عليهم السلام بالعصمة والتطهير، بوصفهم من يملأ الفراغ الذي

---

[1] صحيح البخاري ج٨ ص٩٥ كتاب الدعوات باب ١ لصلاة على النبي.

[2] صحيح البخاري ج٦ ص٣ كتاب المغازي باب غزوة تبوك.

تركـه الرسـول ﷺ بـشأن حمـل الرسـالة إلـى الأجيـال اللاحقـة، وسلامة حفظها من تحريف المحرّفين وتشكيك المشكّكين، فما هي فائدة سلامة تبليغ الرسول ﷺ للشريعة الإلهيـة إذا لـم تكـن لـتحفظ بعد رحيله بأيدي أمينة؟ وما حـدث للـشرائع الـسابقة مـا فيـه الإجابـة الوافية علـى هـذا التـساؤل، حيـث أنّ اتباعهـا كـانوا يأخـذون معـالم شرائعهم بعد رحيل مبلغيها عن أي من كان، فحصل التحريف الذي أخبر عنه جل وعلا: ﴿ **افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق مـنهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمـون** ﴾[1] ، ومن نافلة القول أن حفظ النصوص القرآنية من الزيادة أو النقصان لا يكفـي وحـده بـأي حـال مـن الأحـوال لحفـظ الـشريعة الإلهيـة مـن التحريف.

فالإمامـة بـذلك تعتبـر امتـداداً للنبـوة فـي وظائفهـا العامـة عـدا ما يتـصل بـالوحي فإنّـه مـن مختـصات النبـوة، والمقـصود بامتداديـة الإمامــة للنبــوة هــو حفــظ الــشرع علمــاً وعمــلاً، فلزمــت عــصمة الأئمـة للـزوم ضـرورة نقـل التـشريع الإلهـي للأجيـال اللاحقـة عـن طريق نقية وأصيلة والتي تمثلت بالأئمة الإثني عشر مـن أهـل البيـت النبوي.

[1] البقرة: ٧٥.

ثانياً: الأدلة في إثبات عدد الأئمة (خلفاء الرسول ﷺ):

لقد أخبر المصطفى ﷺ أنّ الأئمة أو الخلفاء من بعده هم من قريش وأنّ عددهم اثنا عشر، وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة: "قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنّه قال: كلهم من قريش" [١].

وفي صحيح مسلم: "لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش" [٢].

وفي صحيح مسلم: "لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً" [٣].

وفي مسند أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود، أنّه قال: "سئل رسول الله ﷺ بشأن الخلفاء، فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل" [٤].

وفي التوراة عند أهل الكتاب ما معناه: "إنّ الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وإنّه سينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر

---

[١] صحيح البخاري ج٩ ص١٠١ كتاب الأحكام باب سيكون اثني عشر أميراً.

[٢] صحيح مسلم ج٣ ص١٤٥٣ ح١٠.

[٣] صحيح مسلم ج٣ ص١٤٥٢ ح٦ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش.

[٤] مسند أحمد ج١ ص٣٩٨.

أميراً وأمة عظيمة" [1] . فالأمة العظيمة المقصودة هي أمة سيدنا محمدﷺ الذي انحدر نسله من إسماعيل عليه السلام ، والإثنا عشر أميراً هم الأئمة أو الخلفاء بعد الرسولﷺ والذين ينحدر نسلهم منه، وهم نفس المقصودين بالأحاديث الصحيحة أعلاه.

ولعل هذه المسألة تعد من أكثر المسائل التي حار فيها علماء أهل السنة، ولم يستطيعوا تقديم تفسير موحد أو مقنع يحدد ماهية هؤلاء الخلفاء الإثني عشر، والذين تتحدث عنهم الأحاديث الصحيحة الكثيرة المتواجدة في صحاحهم، حتى أصبحت هذه المسألة لغزاً محيراً عندهم، حيث إنّ تفسيراتهم يشوبها الإضطراب، وغالباً ما تصل إلى طريق مسدود من حيث عدم انطباق عدد (اثني عشر) على أي مجموعة من الخلفاء، ابتداءً بالأربعة الأوائل ومروراً بالأمويين والعباسيين والعثمانيين، وهل هم منتخب من أولئك جميعاً؟

ونورد مثالاً يظهر مدى اضطرابهم في تفسير هذا الحديث، حيث قال السيوطي: "وقد وجد من الإثني عشر، الخلفاء الأربعة، والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن عبدالعزيز في الأمويين، والطاهر العباسي أيضاً لما أوتيه من العدل

---

[1] سفر التكوين (١٧: ٢٠).

ويبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت" [1] .

وعندما نقول بحيرتهم في تفسير لغز الخلفاء الإثني عشر، فإننا نقصد العلماء منهم، وأما العوام فإنّهم وفي أغلب الحالات لم يتطرق إلى سمعهم مثل هذه الأحاديث، التي تثبت عدد خلفاء الرسولﷺ أو الحديث الذي يأمر بالتمسك بالثقلين وغيرها الكثير مما فيه إشارة إلى فضائل أهل البيت عليهم السلام ، بالرغم من وجودها في الكتب الصحاح عندهم.

وكم كان استغرابي كبيراً عندما قال الدكتور أحمد نوفل (الاستاذ في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية) أثناء حوار لي معه بأن حديث الإثني عشر خليفة هو من اختلاقي وليس له وجود في كتب الحديث عند أهل السنة، ثم غادر المكان من فوره ورفض تكملة الحوار. وقد حدث ذلك بعد القائه محاضرة في مانيلا وإجابته لبعض أسئلة الحضور حول نشأة الشيعة والتشيع، وبصورة مغايرة للحقيقة التي اعتقد مما دفعني للإعتراض على مغالطته هذه وقمت بعرض بعض الأحاديث التي تثبت محمدية التشيع وليس سبأيته كما ادعى، وليس عندنا قصد بذكر هذه الحادثة التشهير بذلك الأستاذ الفاضل سامحه الله، وإنّما إشارة إلى حقيقة لابد من إظهارها وهو أنّ التعصّب يدفع بالبعض إلى أكثر من ذلك. وإنّه لشيء غريب، فكيف يجرأ أحد

---

[1] تاريخ السيوطي ص١٢، ط الفجالة الجديدة ـ القاهرة.

على التصدي للإجابة على أسئلة حول موضوع يجهل الحقائق الأولية المتعلقة به؟ وما بالك عندما يكون الأمر متعلقاً بالشؤون الدينية؟ وما هو حكم الذي يفتي بغير علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا، ففي الوقت الذي نرى فيه حيرة أهل السنة بحل لغز الخلفاء الإثني عشر، وتجاهل الكثيرين منهم الأحاديث الصحيحة الساطعة الدالة على ذلك، فإن طائفة الشيعة الإمامية أتباع أهل البيت النبوي قد وضعوا النقاط على الحروف بما يتعلق بهذا الشأن، وبينوا أنّ المقصودين بالأحاديث السابقة هم الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت النبوي، بل واستدلوا على ذلك بأحاديث مما روي عن طريق العترة الطاهرة والموجودة في كتب الحديث عندهم تبين أسمائهم بصورة لا تجعل أي مجال للشك بالتعرف عليهم وهم:

١ ـ علي بن أبي طالب "أميرالمؤمنين".

٢ ـ الحسن بن علي "السبط".

٣ ـ الحسين بن علي "سيدالشهداء".

٤ ـ علي بن الحسين "زين العابدين".

٥ ـ محمد بن علي "الباقر".

٦ ـ جعفر بن محمد "الصادق".

٧ ـ موسى بن جعفر "الكاظم".

٨ ـ علي بن موسى "الرضا".

٩ ـ محمد بن علي "الجواد".

١٠ ـ علي بن محمد "الهادي".

١١ ـ الحسن بن علي "العسكري".

١٢ ـ محمد بن الحسن "المهدي المنتظر عجل الله فرجه".

ثالثاً: الأدلة في استخلاف علي بن أبي طالب عليه السلام :

كان فيما سبق بيان الأدلة في إثبات إمامة أهل البيت وعدد الخلفاء منهم الذين نص الرسول صلى الله عليه وسلم على استخلافهم على الأمة.

وفيما يلي الأدلة على استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهي إضافة لما سبق من شواهد قطعية تثبت ذلك، وخصوصاً حديث الثقلين. ومن أشهر ما روي في استخلاف علي عليه السلام هو ما عرف بخطبة الغدير بعد الانتهاء من حجة الوداع في السنة الحادية عشرة للهجرة، حيث أعلن رسول الهدى على الملأ ذلك بقوله في نهايتها كما روى الترمذي بسنده عن زيد بن أرقم: "من كنت مولاه فعلي مولاه" [1] ، وقد أخرج ابن ماجة جزءاً من هذه الخطبة المسهبة في صحيحه بالسند عن البراء بن عازب قال: "اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر

[1] صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٣٣ ح٣٧١٣.

بالصلاة جامعة، فأخذ بيد علي عليه السلام، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه" [1].

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن البراء بن عازب أيضاً قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام ، فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه! قالوا: بلى،قال: فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك، فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة [2].

إنّ هذا الحديث اشتهر باسم "حديث الغدير" نسبة إلى وقوع هذه الحادثة في مكان يسمى "غدير خم" قرب مكة، وهو مما لا يستطيع أحد أن يشكك في روايته، حيث أنّه روي في كثير من كتب

---

[1] سنن ابن ماجة: ج١ ص٤٣، باب فضل علي بن أبي طالب ح١٦، ط دار الفكر، بيروت.

[2] مسند أحمد: ج٤ ص٢٨١.

الحديث عند أهل السنة، وحتى أنّ بعض العلماء قد أخرج له أكثر من ٨٠ طريقاً من طرق أهل السنة فقط.

ويظهر من الأحاديث السابقة أن الرسول ﷺ قد أشهد المسلمين على ولايته عليهم عندما سألهم: "ألستم تعلمون بأني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟.... ألستم تعلمون أنّي أولى بكل مؤمن من نفسه؟" ويفهم أنّه من يمتلك صفة (أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لابد وأن يكون قائداً للمؤمنين كما كان فعلاً الرسول ﷺ قائداً، وعندما قرن بينه وبين علي عليه السلام بهذه الصفة بقوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" يكون قد أعطى صفة القيادة من بعده لعلي عليه السلام. والشيعة يحتفلون كل عام في الثامن عشر من ذي الحجة بهذه المناسبة ويسمونها بعيد الغدير.

وأما أهل السنة فقد حملوا هذا الحديث على غير ذلك، وقالوا بأنه لا يدل على الخلافة، وفسروا كلمة مولى بالمحب أو الصديق لا ولي الأمر، وبذلك يكون معنى هذا الحديث على رأيهم أنّه "من كنت صديقه فهذا علي صديقه"!!

والحقيقة أنّ كلمة "مولى" تأتي بمعاني عديدة في اللغة العربية، وحتى قيل إنّ لها سبعة عشر معنى من ضمنها "مُعْتَق" أو "الخادم"، لذلك فإن كلمة مولى في هذا الحديث تفهم بالإضافة إلى ما سبق من خلال قرائن كثيرة أنّها تدل على القيادة، ومن هذه

القرائن:

١ ـ آية ﴿ **يا أيها النبي بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ [١] التي نزلت كما جاء في تفاسير كثيرة قبل خطبة الغدير، وهي في مفهومها تدل على وجود أمر من الله سبحانه وتعالى يراد تبليغه، وأن هذا الأمر كما يظهر من سياق الآية ومن خلال لهجتها الحادة على درجة من الخطورة والأهمية يدل على أنّ المقصود ليس مجرد الصداقة والمناصرة.

٢ ـ آية ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[٢]، والتي نزلت كما ذكر مفسرون كثيرون بعد حادثة الغدير، حيث تدل على اكتمال تبليغ الرسالة المحمدية والتي لم تكن لتكتمل بدون تبليغ ولاية علي وأهل البيت عموماً، ومن المستبعد القول بأن اكتمال التبليغ قد حصل تبليغ الرسول ﷺ بصداقته ومحبته لعلي!

٣ ـ إنّ الظروف التي ألقى فيها الرسول ﷺ خطبة الغدير، حيث الصحراء المحرقة وقد أمر المسلمين بالتجمع والذين قيل أنّ

---

[١] المائدة: ٦٧، الواحدي في أسباب النزول: ص١٣٥، والتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٤٨ ـ ٤٩.

[٢] المائدة: ٣، السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٢٥٩، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ ص٢٩٠.

عددهم جاوز التسعين ألفاً، وأخذ الاقرار منهم بولاية الله ورسوله قبل أن يأمرهم بولاية علي، تؤكد على أنّ الأمر لم يكن متعلقاً بمجرد حب علي وصداقته.

٤ ـ الأحاديث السابقة وخصوصاً حديث الثقلين وكذلك ما يلي من أحاديث تدل في مجموعها على خلافة علي دون أن تدع أي مجال للشك.

شواهد إضافية على استخلاف علي:

في صحيح الترمذي وبسنده عن عمران بن حصين قال: "بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فمضى في السرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه وقال: ما تريدون من علي؟ إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي" [١].

وفي قوله تعالى: ﴿ **إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ [٢]، حيث ذكر أغلب المفسرين من أهل السنة أنها نزلت في علي عندما تصدق

[١] صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٣٢ ح٣٧١٢.

[٢] المائدة: ٥٥، تفسير الطبري ج٦ ص١٨٦، أسباب النزول للواحدي: ص١٣٣، شواهد التنزيل للحاكم ج١ ص١٦٤ ـ ١٦٧، أنساب الأشراف ج٢ ص٣٨١.

بخاتمه لمسكين جاءه وهو في ركوعه أثناء تأديته للصلاة.

وفي صحيح البخاري، عن مصعب بن سعد عن أبيه: "أنّ الرسولﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: اتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبي بعدي"[1]، ويدل هذا الحديث على أنّ علياًعليه السلام له جميع المناصب التي كان يحتلها هارونعليه السلام في بني إسرائيل ـ باستثناء النبوة ـ والتي بيّنها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿...واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * أشدد به أزري وأشركه في أمري... قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾[2]، حيث يظهر في هذه الآيات أنّ هارون عليه السلام كان وزيراً لموسىعليه السلام ومعاونه الخاص وشريكه في قيادة الأمة.

وما يؤكد استحقاق عليّ لهذه المنزلة الرفيعة باستخلافه على الأمة، أنّه كان الأعلم بين جميع الصحابة، بدليل ما يرويه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن ابن عباس قال: "قال عمر رضي الله عنه: اقرؤنا أبيّ، وأقضانا علي"[3] كذلك أنّ الأقضى هو الأعلم بالأحكام والقوانين كما لا يخفى.

---

[1] صحيح البخاري: ج٦ ص٣، كتاب المغازي.

[2] طه: ٢٩ ـ ٣٦.

[3] صحيح البخاري: ج٦ ص٢٣ كتاب التفسير باب قوله ـ "ننسخ آية أو ننسها" ـ

ويكفي لاثبات أعلميته بين جميع الصحابة أنه كان باب مدينة علم رسول الله ﷺ وحكمته، ففي مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ : "أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" [1].

وفي صحيح الترمذي قال رسول الله ﷺ : "أنا مدينة الحكمة وعلي بابها [2] "، وفي مستدرك الصحيحين قال رسول الله ﷺ لعلي: "أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي " [3].

بل إنّ الرسول ﷺ قد جعل كره علي علامة من علامات النفاق، كما يظهر ذلك من الرواية التي أخرجها مسلم في صحيحه بالسند عن عليّ عليه السلام قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لايحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق" [4].

وحتى لو لم يعين الرسول ﷺ خليفة بعده، ألا ينبغي على الأمة أن تختار الأعلم والأكثر تميزاً ليكون قائداً لها؟

فقد بيّنا فيما مضى أنّ علياً عليه السلام كان الأعلم بين جميع الصحابة،

---

[1] مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٢٦.

[2] صحيح الترمذي ج٥ ص٦٣٧ ح٣٧٢٣.

[3] مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٢٢.

[4] صحيح مسلم ج١ ص٨٦ ح١٣١ كتاب الإيمان باب حب علي كرم الله وجهه من الايمان.

حيث كانوا يرجعون إليه إذا ما واجهتهم معضلة دينية معقدة، ومثال ذلك ما أخرجه أبو داود بسنده عن ابن عباس قال: "أتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها أن ترجم، قال، فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه فقال: يا عمر، أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلهما، قال: فجعل عمر يكبر" [1] وأخرج البخاري أيضاً جزءاً من الحادثة في صحيحه [2].

بالإضافة إلى ذلك، فقد عرف الإمام علي عليه السلام بإمام الزاهدين، واشتهر بشجاعته وبطولاته الخارقة، فقد كان أول فدائي في الإسلام، وكان له في كل معركة من معارك الإسلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم الدور الحاسم، ففي بدر قتل بسيفه "ذي الفقار" ثلاثين صنديداً من صناديد قريش، وفي أحد وحنين وقف ذلك الموقف التاريخي مستميتاً يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فرار الغالبية العظمى من الصحابة!!، وفي

[1] سنن أبي داود ج٤ ص١٤٠ ح٤٣٩٩، باب المجنون يسرق أو يصيب حداً.

[2] صحيح البخاري ج٨ ص٢٠٤ كتاب المحاربين باب لا يرجم المجنون والمجنونة.

الخندق تصدى لمبارزة عملاق المشركين عمرو بن عبدود العامري واجهز عليه في الوقت الذي لم يجرؤ فيه أي من باقي الصحابة بالخروج إليه، بالرغم من أنّ الرسول ﷺ دعاهم لذلك ثلاث مرات قبل أن يسمح لعلي عليه السلام بالقيام بذلك والذي كان صغير السن مقارنة بمعظم الصحابة. وفي خيبر إذ فتح الله على يديه باب الحصن، بعد أن استعصى على المسلمين يومها وقد عجز عن فتحه جمع كبير من الصحابة مجتمعين.

وتميز أيضاً عن باقي الصحابة بأنه لم تدنسه الجاهلية بأوثانها، وتلقى تربيته الفريدة على يد معلم البشرية الأول محمد ﷺ ولم يفارقه لحظة طوال حياته حتى فارق الدنيا وهو بين يديه، فكان طوال حياته يتلقى العلم والحكمة من رسول الله ﷺ فاستحق بجدارة أن يكون باب مدينة علم رسول الله ﷺ وحكمته وأخاه.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: "آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء علي عليه السلام تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ : أنت أخي في الدنيا والآخرة" [١]. وحتى أنّ الرسول ﷺ اعتبر علياً منه كما روى البخاري: "قال النبي ﷺ

[١] صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٣٦ ح ٣٧٢٠.

لعلي: أنت مني وأنا منك" [1].

وتميز أيضاً عن باقي الصحابة بأنّه كان الأكثر فضائلاً، كما أخرج ذلك الحاكم في مستدركه نقلاً عن أحمد بن حنبل بقوله: "ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام " [2].

وفي كنز العمال، قال رسول الله ﷺ : "إنّ الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي" [3]، وكان ذلك بعد أن رفض تزويجها لعدد من الصحابة تقدموا لطلبها في محاولة لنيل هذا الشرف العظيم بالزواج من بضعة الرسول ﷺ وسيدة نساء المؤمنين وأهل الجنة والتي يغضب الله لغضبها، وقد صدق من قال: "لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفوء" [4].

وبعد كل ذلك، فإنّه لو كان اختيار الخليفة موكولاً إلى الناس، فإنّ علياً عليه السلام كان الأكثر تميزاً بين الصحابة، وبالتالي الأكثر لياقة واستحقاقاً للخلافة.

---

[1] صحيح البخاري: ج٥ ص٢٢ كتاب فضائل الصحابة.

[2] مستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٠٧.

[3] كنز العمال ج١٣ ص ٦٨٣ ح٣٧٧٥٣، ذخائر العقبى: ص ٣٠.

[4] كنوز الحقائق للمناوي، وأخرجه الديلمي ج٣ ص٣٧٢ ح٥١٢٧.

مخالفة جمهور المسلمين لنصوص الإمامة

لقد كان فيما سبق تبيان للأدلة في إثبات ولاية أهل البيت عموماً، واستخلاف أئمتهم الاثني عشر ابتداءً بالإمام علي عليه السلام على الأمة بعد انتقال المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

ويبقى السؤال الحاسم والذي لابد من الإجابة عليه لكشف الكثير من الغموض الذي واكب قصة الخلاف بين أهل السنة والشيعة عبر التاريخ الإسلامي. وهو: إذا كانت النصوص السابقة تدل حقاً على إمامة أهل البيت عليهم السلام، فلماذا وكيف آلت الخلافة إلى غيرهم؟ وألم يكن الصحابة يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمرهم به؟؟

وفي المحاولة للإجابة على ذلك، فإننا نورد بعضاً من الحوادث التاريخية المهمة في صدر الإسلام والتي كان لها الأثر الأكبر في تغير مسار التاريخ الإسلامي، حيث نترك للقارىء أن يصدر حكمه الخاص بعد ذلك. ومن هذه الحوادث المهمة:

١ ـ منع بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتابته للوصية.

٢ ـ تخلف بعض الصحابة عن بعثة أسامة وطعنهم في إمارته.

٣ ـ أحداث السقيفة وبيعة أبي بكر رضي الله عنه .

٤ ـ استخلاف عمر رضي الله عنه .

٥ ـ استخلاف عثمان ﵁ .

٦ ـ موقعة الجمل وخروج أم المؤمنين.

٧ ـ موقعة صفين وتمرد معاوية.

٨ ـ استشهاد الإمام علي عليه السلام .

٩ ـ معاهدة الصلح واستشهاد الإمام الحسن عليه السلام .

١٠ ـ ثورة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام .

وسنتناول كلاً من هذه الحوادث بشيء من التفصيل كما يلي:

أولاً: منع بعض الصحابة رسول الله ﷺ من كتابته للوصية:

أخرج البخاري في صحيحه ستة روايات بهذه الحادثة والتي حصلت قبل وفاة الرسول ﷺ بأربعة أيام فقط، فعن ابن عباس ﵁ قال: "يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: آتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه" [١] .

وفي رواية أخرى، قال ابن عباس: "لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ : هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا

---

[١] صحيح البخاري ج٦ ص١١ كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

بعده، فقال: بعضهم: إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ ، قوموا. قال عبيدالله: فكان يقول ابن عباس: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم" [1].

وفي رواية ثالثة، قال ابن عباس: "لما حُضِر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ : هلمّ أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده. فقال عمر: إنّ النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : قوموا. قال عبيدالله: وكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١٢ كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

ولغطهم" [1].

وفي صحيح مسلم، كان ردهم: ".... فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر" [2] وفي رواية: "... فقال عمر كلمة معناه أنّ الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ ثم قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله" [3]، حيث تجد أنّ كلمة يهجر قد استبدلت في الرواية الأخيرة بما معناه أنّه الوجع (الأكثر تهذيباً).

وبالتمعن في الروايات أعلاه، نتيقن أنّ أول من وصف رسول الله ﷺ بالهجران إنّما هو عمر بن الخطاب والذي أيده في ذلك بعض الحاضرين من الصحابة مما أدّى إلى غضب رسول الله ﷺ ، وطرده إياهم من مجلسه بقوله: "قوموا عني".

والحقيقة إنّ هذه الحادثة يفهم منها بدون أدنى شك إساءة إلى شخص الرسول الكريم ﷺ ، والتي كانت صدمة كبيرة لي لدى علمي بها، والتي حسب ظني يجهل حدوثها الغالبية العظمى من أهل السنة

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١١ كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عني.

[2] صحيح مسلم كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ج٣ ص١٢٥٩ ح٢١.

[3] السقيفة لأبي بكر الجوهري: ص٧٣، ورواه مسلم في صحيحه ج٣ ص١٢٥٩ ح٢٢.

بالرغم مما تحويه من أهوال! وكثيراً ممن أسمعتهم هذه الحادثة لم يصدقوا بها من هول الصدمة، بل إنّ بعضهم أقسم الأيمان الغلاظ بأنه إذا صدق فعلاً وجود هذه الحادثة في صحيح البخاري، فإنّه لن يثق بعد ذلك بأي رواية في هذا الصحيح. وبعضهم صدّق هذه الرواية ولكنه لدى العلم بأنّ الخليفة عمر ﵁ هو الذي أول من رمى الرسول ﷺ بالهجران غضب غضباً شديداً ورفض التصديق بذلك، بل وقرر عدم الوثوق بصحيح البخاري أو بأي من كتب الحديث التي تروي مثل هذه الروايات التي تسيء إلى السلف الصالح على حد رأيه!!

وسر الدهشة في هذه الحادثة هو أنّه كان ينبغي على جميع الصحابة الحاضرين، أن يقدموا دون أدنى تأخير ما أمرهم رسول الله ﷺ به حتى يكتب لهم الوصية لأخيرة التي كان مقدراً لها أن تتضمن ما من شأنه أن يأمن المسلمون بعده من الضلال لو التزموا وأطاعوا كما يظهر من الرواية هذه، ومن كان من أهل السنة ليتوقع أنّ آخر لقاء بين الرسول ﷺ وكبار الصحابة انتهى بطرده إياهم من مجلسه بعد أنّ ودّعوه بتلك الكلمة المؤلمة والتي لا يحتمل لها سوى معنى واحد وقد ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم بأنه "الهذي" [1] والعياذ بالله، وكما ذكر الإمام شرف الدين: (وإذا تأملت

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٩٣.

في قول الرسول ﷺ : "آتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده" وقوله في حديث الثقلين: "إني قد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي" تعلم ان المقصود في الحديثين واحد، حيث أراد الرسول ﷺ في مرضه أن يكتب لهم تفصيل ما أوجبه عليهم في حديث الثقلين، ولكنه عدل عن الكتابة بعد كلمتهم تلك التي فاجأوه بها اضطرته إلى العدول لئلا يفتح البعض باباً إلى الطعن في النبوة – إذ لم يبق أثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده في أنه هجر فيما كتبه ـ والعياذ بالله ـ أم لم يهجر، كما اختلفوا بذلك في حضرته كما يظهر من خلال الأحاديث السابقة، وقد اكتفوا بما عندهم من القرآن وجوّزوا لأنفسهم العدول عن كلام النبي ﷺ وهو في حال المرض، وكأنهم قد نسوا ما قاله جل وعلا في حق نبيه الكريم: ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى * علمه شديد القوى** ﴾ [1] والآية: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [2] وكذلك الآية: ﴿ **إنّه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون** ﴾ [3]. [4]

---

[1] النجم: ٣ ـ ٥.

[2] الحشر: ٧.

[3] التكوير: ١٩ ـ ٢٢.

[4] بتصرف عن كتاب المراجعات للإمام شرف الدين: ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

وقد وصف ابن عباس ذلك الموقف خير وصف عندما قال: "إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم".

ورغم كل ذلك، وبناء على ما رواه ابن عباس وأخرجه البخاري في صحيحه فإن الرسولﷺ ما مات إلاّ وقد أوصى: "...فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال فنسيتها" [1] !!.

ومن المؤكد أنّ الرسول ﷺ قد نطق بهذه الوصايا بحضور أهل بيته وبعض أقاربه والذين كان عبدالله بن عباس (ابن عمه) واحداً منهم، وذلك في أحد الأيام الأربعة التي تلت يوم الرزية "رزية يوم الخميس". ولكن الغريب، أن (الوصية الثالثة) وعلى ذمة البخاري أنّ ابن عباس لم يشأ أن يذكرها، وعلى كل حال، فإن الشيعة ومما روي من طريق أهل البيت عليهم السلام ذكروا أنّ الوصية المنسية أو المسكوت عنها هي استخلاف علي عليه السلام .

ثانياً: تخلف بعض الصحابة عن بعثة أسامة وطعنهم في إمارته:

من المعروف عند جميع المسلمين أنّ الرسول ﷺ عقد

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١١ كتاب المغازي باب مرض النبي ووفاته.

لأسامة بن زيد سرية لغزو الروم وهو ابن السابعة عشر عاماً، وهي آخر السرايا على عهد الرسولﷺ ، ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم، إلاّ وقد عبأه بالجيش[1] ـ وقد أجمع على هذه الحقيقة أهل السير والأخبار وهي من المسلمات ـ وأمر الرسول ﷺ أسامة بالمسير، إلاّ أنّهم تثاقلوا في ذلك، وقد طعن بعضهم في تأميره عليهم، حتى غضب الرسولﷺ من طعنهم غضباً شديداً، فخرج معصب الرأس، وكان ذلك أثناء مرضه الأخير قبل وفاته بيومين، وصعد المنبر وقال كما أخرج البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه : "قال: أمر الرسولﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحب الناس إليّ بعده" [2] ثم حضهم على المسير بها والتعجيل في ذلك، إلاّ أنّهم تباطؤوا مرة أخرى، وتوفي الرسول ﷺ قبل أن يبدأوا بالمسير.

ويُستفاد من هذه الحادثة ما يلي:

---

[1] رجال حول الرسول لخالد محمد خالد: ص٦٥٦، تاريخ الطبري ج٣ ص١٨٤، ١٨٦، النهاية لابن الأثير ج٢ ص٣١٧، طبقات ابن سعد ج٤ ص٦٥ ـ ٦٩.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص١٧٩ كتاب المغازي باب غزوة زيد بن حارثة.

١ ـ اجتهاد بعض الصحابة في موضع نص النبي ﷺ ، حيث أنّهم اعترضوا على تأمير أسامة عليهم لصغر سنة بالرغم من أنّ الرسولﷺ قد عقد لواءه بيده، فإذا فهمنا هذه، فإنّه لن يصعب علينا فهم كيفية وسبب اجتهادهم في مسائل أكبر كاستخلاف علي وإمامته كما سترى ذلك فيما بعد.

٢ ـ إنّ تأمير الرسولﷺ لأسامة عليهم وهو ابن السبعة عشرة عاماً فقط، كان درساً عملياً للصحابة في مسألة تقبل إمارة من هو أصغر منهم سناً، حيث أظهر لهم غضبه الشديد عندما طعنوا في إمارته.

٣ ـ عندما عقد الرسولﷺ اللواء لأسامة، كان يعلم بأن موعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى قد دنا، ولا شك أنّه كان يفكر بما سيحصل بعده من تنازع على الخلافة، فكانت حكمته بالغة في وضع كبار المهاجرين والأنصار في تلك السرية والتي أمرها بالمسير قبل وفاته بأيام حتى لا يكون هناك أي مجال للتنازع على الإمارة، فضلاً عن الاجتهاد فيها. وقد كان علي ملازماً للرسولﷺ طوال فترة مرضه، وبعد وفاته اشتغل بغسله في الوقت الذي ذهب فيه المهاجرون والأنصار يتنازعون على الإمارة في سقيفة بني ساعدة بعد أن تثاقلوا ورفضوا المسير في بعثة أسامة والذين كانوا جنوداً فيها، اجتهاداً منهم لقلقهم كما يبدو على ما سيحدث بعد وفاة رسول الله ﷺ في حال

غيابهم!

وهكذا، فإنّ من يصعب عليه قبول أو استيعاب مسألة رفض بعض الصحابة لإمامة علي بن أبي طالب عليهم، فكيف يُفسّر رفض هؤلاء أنفسهم تأمير أسامة عليهم بل وطعنهم في ذلك، بالرغم من أنّه بأمر من الرسول ﷺ أيضاً؟

وبما أنّ حادثتي رزية يوم الخميس والطعن بتأمير أسامة قد حصلتا في حياة الرسول ﷺ وبكل ما فيهما من أهوال، فما بالك بالذي سيحصل بعد وفاته ﷺ ؟؟

ثالثاً: احداث السقيفة وبيعة أبي بكر

في الوقت الذي كان علي عليه السلام ومن معه من أقرباء الرسول ﷺ مهتمين بتجهيز النبي ﷺ بعد رحيله عن هذه الدنيا، كان عمر بن الخطاب يعلن إنكاره لوفاة الرسول ﷺ ، ويهدد كل من يقول ذلك بالقتل، ولم يكن يصدق بوفاته حتى رجع أبو بكر من مكان خارج المدينة يدعى السنح، كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها : "إنّ رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْحِ، قال اسماعيل: تعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاءه أبوبكر، فكشف عن

رسول الله ﷺ فقبله، فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، والله الذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك" [١].

أما الأنصار فقد اجتمعوا في سقيفتهم "سقيفة بني ساعدة" ورشحوا سعد بن عبادة ليكون خليفة رسول الله ﷺ، وعندما علم كبار المهاجرين (أبوبكر وعمر وأبو عبيدة) بذلك، ذهبوا إليهم على الفور وأعلنوا أنهم أحق بالأمر، ودار حوار بين المهاجرين والأنصار اشتد فيه الجدل والنزاع، وقد وقف زعيم الأنصار سعد بن عبادة قائلاً: "أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر" [٢].

فقام أبوبكر وألقى خطاباً ذكر فيه فضل المهاجرين، واحتج بقرشيتهم في أحقيتهم، بالخلافة كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه: "فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن

---

[١] صحيح البخاري ج٥ ص٧ ـ ٨ كتاب فضائل الصحابة باب إن لم تجد نبي فإن أبا بكر.

[٢] صحيح البخاري ج٨ ص٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبوبكر [1] ... فقال أبوبكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً [2]،.... وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين [3] فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح" [4].

فرد عليه أحد وجهاء الأنصار وهو الحباب بن المنذر قائلاً: "لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير" [5]، وكان رد الأنصار في رواية أخرى: "فقال قائل الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الأختلاف" [6].

وبعد تأزم الموقف إلى هذا الحد، جاء دور عمر بن الخطاب، فقال: "هيهات أن يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٨ كتاب فضائل الصحابة باب إن لم تجد نبي فإن أبابكر.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص٨ كتاب فضائل الصحابة باب إن لم تجد نبي فإن أبابكر.

[3] صحيح البخاري ج٨ ص٢١١ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

[4] صحيح البخاري ج٥ ص٨ كتاب فضائل الصحابة باب إن لم تجد نبي فإن أبابكر.

[6] صحيح البخاري ج٨ ص٢١١ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولنا الحجة بذلك على من أبى".

فرد عليه الحباب بن المنذر قائلاً: "يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أمركم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فأنتم أحق بهذا الأمر منهم".

ولكنّ الأنصار انقسموا في هذه الأثناء على أنفسهم، فذهب أسيد بن حضير زعيم الأوس ـ الذي كان معارضاً لزعيم قبيلة الخزرج سعد بن عبادة ـ وأعلن للمهاجرين تأييده لهم ووعد بإعطائهم البيعة.

فقام عمر وقال لأبي بكر: إبسط يدك أبايعك، فبايعه عمر وقسم من المهاجرين والأنصار، وكما يروي البخاري بالسند إلى عائشة ﵂ بأن عمر أخذ البيعة لأبي بكر بتهديدة وتخويفه لهم: "قالت عائشة: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلاّ نفع الله بها، لقد خوّف عمر الناس، وإنّ فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك" [1].

وقال عمر يومها بشأن سعد بن عبادة الذي رفض المبايعة ـ وقد كان شيخاً كبير السن ـ كما ـ يروي ذلك البخاري في صحيحه: "...ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة،

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٩ كتاب فضائل الصحابة باب إن لم تجد نبي فإن أبابكر.

فقال عمر: قتله الله" [1].

وإلى هذا الحد نسدل الستار على مسرح أحداث السقيفة والتي انتهت بعقد البيعة لأبي بكر بعد صراع مشهود بين المهاجرين والأنصار على الخلافة، وقد اصطبغ ذلك النزاع بنزعة جاهلية كما يظهر بوضوح من خلال التمعن بطبيعة الحوار الذي جرى بين الفريقين، والحجج التي احتج بها كل على الآخر، وقد اعترف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في آخر حياته بأنّ بيعة أبي بكر كانت (فلتة) ولكن الله وقى شرها ـ على رأيه ـ كما يروي ذلك البخاري في صحيحه، حيث قال عمر: "... فلا يغترن امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها" [2].

والكل يعلم أنّ الإمام علياً عليه السلام وسائر أوليائه من بني هاشم وغيرهم من الصحابة ـ أمثال الزبير وطلحة وعمار وسلمان والمقداد وأبوذر وخزيمة ذي الشهادتين وخالد بن سعيد وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم ـ لم ـ يشهدوا تلك البيعة ولم يدخلوا السقيفة يومئذ، لأنّهم كانوا منصرفين بكلهم إلى الخطب الفادح بوفاة

---

[1] صحيح البخاري ج٨ ص٢١١، ج٥ ص٨.

[2] صحيح البخاري ج٨ ص٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

الرسول ﷺ وقيامهم بالواجب من تجهيزه وتشييع جثمانه الطاهر، وقد أبرم أهل السقيفة البيعة لأبي بكر، فلم يكن بمقدور علي ومن معه أكثر من أن يخالفوا ويمتنعوا عن المبايعة، كما يظهر من رواية عمر بن الخطاب: "وإنّه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيهﷺ ، إلاّ أنّ الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف منا علي والزبير ومن معهما" [1] .

(ولم ير الإمام عليعليه السلام للإحتجاج عليهم أثراً سوى الفتنة التي كان يفضل أن يضيع حقه على حدوثها في تلك الظروف، بسبب الفتن الخطيرة التي أحاطت بالإسلام من كل جانب، فخطر يهدد الإسلام من المنافقين من أهل المدينة وبمن حولهم من الأعراب الذين قويت شوكتهم بعد رحيل المصطفىﷺ ، بالإضافة إلى خطر مسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد الأفاك وسجاح الدجالة، والرومان والأكاسرة والقياصرة وغيرهم الذين كانوا للمسلمين بالمرصاد، وغير ذلك من الأخطار التي كانت تهدد الإسلام ووجوده، فكان من الطبيعي أن يضحي الإمام علي عليه السلام بحقه، ولكن دون أن يمحو حجيته في الخلافة، فأراد الاحتفاظ بحقه في الخلافة والإحتجاج على من اجتهد فيها بالشكل الذي لا يوقع الفتنة التي سينتهزها أعداء الإسلام،

---

[1] صحيح البخاري ج٨ ص٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

فقعد في بيته وتخلف عن المبايعة هو ومن معه لمدة ستة شهور)[1] وكما في رواية البخاري التالية، والتي تثبت أيضاً أنه لو كان لعلي عليه السلام القوة الكافية لانتزاع حقه بالقوة في ذلك الوقت دون حصول الفتنة لفعل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"..... وعاشت (فاطمة) بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر وصلى عليها. وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: ان ائتنا ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبوبكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينّهم"[2] .

ولقد فسّر الإمام شرف الدين تصرف عي عليه السلام هذا بقوله:

(ولو أسرع علي إليهم في المبايعة حين عقدها، لما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين، والاحتفاظ بحقه في الخلافة، فالظروف يومئذ لا تسمح لمقاومة بسيف، ولا مقارعة بحجة) [3] وتظهر هذه الحقيقة جلياً

[1] بتصرف عن كتاب المراجعات للإمام شرف الدين: ص٢٨٤.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص١٧٧ كتاب المغازي باب غزوة خيبر.

[3] بتصرف عن كتاب المراجعات للإمام شرف الدين: ص٢٨٥.

عندما سعى أبو سفيان إلى علي عليه السلام أكثر من مرة يحضه على الاستمساك بحقه في الخلافة قائلاً: "إن شئت لأملئنها عليهم خيلاً ورجالاً، ولأسدنها عليهم من أقطارها" [1]. ولكن الإمام عليه السلام كان يرفض هذا النوع من المساعدة في كل مرة، لأنه كان يعلم أنّ ما يقصده أبو سفيان هو إذكاء نار الفتنة وإشعال حرب لا يقوم بعدها للإسلام قائمة.

هل المح الرسول صلى الله عليه وسلم باستخلاف أبي بكر؟

إن بعض من يقول بأحقية أبي بكر بالخلافة والماح الرسول صلى الله عليه وسلم له بذلك فانّما ذلك على رواية أخرجها ابن الجوزي بسنده عن علي عليه السلام : قال: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فقدمنا أبابكر" [2].

وهذه الرواية فيها كذب صارخ، فعلي عليه السلام الذين يدّعون روايته لهذا الحديث هو الذي خالف أبا بكر ولم يبايعه إلاّ بعد ستة أشهر وقد تشيع حوله المخالفون من عظماء الصحابة كما مر، وعلى تقدير صحة

[1] خلفاء الرسول لخالد محمد خالد ص٤١٨ الطبعة الثامنة، تاريخ الطبري (حوادث سنة ١١ هجرية).

[2] صفوة الصفوة لابن الجوزي ج١ ص٢٥٧.

الرواية فإنّه يلزم أن يكون الإمام علي عليه السلام أول من يبايع.

وبالإضافة إلى تخلّف علي عليه السلام عن مبايعة أبي بكر، والذي يكفي وحده لدحض تلك الرواية، فإنّ هناك دلائل أخرى تؤكد كذبها:

١ ـ بعثة أسامة بن زيد التي عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لواءها بيده الشريفة، وحث الصحابة على المسير بها وهو في آخر لحظات عمره الشريف، وقد كان بين أفراد تلك السرية كبار المهاجرين ـ أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ـ فلو أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يستخلف أبا بكر لما جعله بين أفراد تلك السرية.

٢ ـ ولو صحت الرواية أعلاه، لاحتج بها أبو بكر نفسه يوم السقيفة على مخالفيه في الوقت الذي كان هو في أمسّ الحاجة لحجة يحسم بها ذلك الصراع، وبدلاً من ذلك، فقد رأيناه يحتج يومئذ بأن قبيلة قريش هي "أعربهم أحساباً" كما مر.

٣ ـ وفق كل ذلك، فإن هذه الرواية تدحض بوجود الأحاديث القطعية الثبوت في استخلاف علي عليه السلام، فراجع ما أوردناه في ذلك من نصوص في الصفحات السابقة.

غضب فاطمة عليها السلام

لقد توفيت فاطمة عليها السلام غاضبة على أبي بكر بسبب حرمانه إياها

من ميراثها من النبيﷺ، فكما يروي البخاري في صحيحه بالسند إلى عائشة ﵂ قالت: "... إنّ فاطمة ؏ بنت رسول اللهﷺ طلبت ان يقسم لها ميراثها، ما ترك رسول اللهﷺ مما أفاء الله عليه. فقال لها أبوبكر: إنّ رسول اللهﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول اللهﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول اللهﷺ ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبابكر نصيبها مما ترك رسول اللهﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبوبكر عليها ذلك، وقال: لست تاركاً شيئاً رسول الله ﷺ يعمل به" [1].

وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحد الذي جعلها توصي علياً ؏ أن لا يصلي أبوبكر عليها بعد وفاتها، بل ولا حتى أن يمشي في جنازتها، حيث وارى الإمام علي؏ جثمانها الطاهر سراً في الليل كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه بالسند إلى عائشة ﵂: "...فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت: وعاشت بعد النبيﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر وصلى عليها" [2].

[1] صحيح البخاري ج٤ ص٩٦ كتاب الخمس باب الفرائض.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص١٧٧ كتاب المغازي باب غزوة خيبر.

وأرض فدك التي كانت تطالب بها فاطمةعليها السلام، هي قرية في الحجاز كان يسكنها طائفة من اليهود، ولما فرغ الرسولصلى الله عليه وآله وسلم من خيبر، قذف الله في قلوبهم الرعب، فصالحوا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم على فدك، فكانت ملكاً لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، ثم قدمها لابنته فاطمة الزهراءعليها السلام، بالإضافة لما ملكه الرسولصلى الله عليه وآله وسلم من خمس خيبر وصدقات النبيصلى الله عليه وآله وسلم ، فكانت هذه كلها ملكاً لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم خاصة ولا حتى فيها لأحد غيره.

ففاطمةعليها السلام ـ على رأي أبي بكر ـ كانت تطالب بما ليس لها حق فيه. وهي حسب هذا الرأي تكون أحد أمرين لا ثالث لهما، أولهما: أنّها كانت جاهلة لاتعلم حكم ميراث النبيصلى الله عليه وآله وسلم (كما يعلم أبو بكر) وثانيهما: أنّها كانت كاذبة تطمع بأخذ ما لم يكن حقاً لها.

والحقيقة أنّ كلا الأمرين مستحيلان على الزهراءعليها السلام التي كان يغضب الله لغضبها وهي سيدة نساء المؤمنين وأهل الجنة، وقد طهرها الله تعالى من كل اثم ورجس كما مر سابقاً، وكما اخرج البخاري في صحيحه أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال:

"يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة" [١].

---

[١] صحيح البخاري ج٨ ص٧٩ كتاب الاستئذان باب من ناجى بين يدي الناس.

"فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني" [1].

"فاطمة سيدة نساء أهل الجنة" [2].

وحتى لو سلمنا أنّ فاطمة عليها السلام كانت كسائر النساء وليس لها كل تلك الميزات ـ كما في الروايات أعلاه ـ فإنّ كونها ابنة لمعلم البشرية وزوجة لأميرالمؤمنين علي عليه السلام والذي شهدوا له بأنه أقضاهم ـ أي أعلمهم ـ ينفي عنها أي احتمالية لجهل، ذلك أنّه لو كانت فاطمة عليها السلام تطالب بما ليس حقاً لها وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يورث ـ على حد رأي أبي بكر ـ فإنّ أيّاً من أبيها أو زوجها كان الأجدر أن يعلمها بذلك، وخصوصاً أنّ غضبها على أبي بكر دام لستة شهور وهذه الفترة هي كل ما عاشته فاطمة بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولكن هيهات أن تكون فاطمة والعياذ بالله كذلك، حيث إنّه لما بلغها منع أبي بكر حقها في فدك وما أفاءالله على أبيها بالمدينة وخمس خيبر، ذهبت إليه وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، وخطبت فيهم ما أجهش له القوم بالبكاء، ونقتطف من خطبتها تلك:

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٣٦ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب فاطمة رضي الله عنها.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص٣٦ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب فاطمة رضي الله عنها.

"... وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ولا حظ ـ أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ـ ويهاً معشر المسلمة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً ـ ثم تلت عليهم ـ ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل * أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ [1].... إيهاً بني قيلة!! أأهتضم ميراث أبي وأنت بمرأى مني ومسمع؟....إلى آخر تلك الخطبة [2] .

وبالإضافة لذلك، فإن معنى قول الرسولﷺ : " لا نورث" لا يعني عدم انطباق قوانين الميراث على الأنبياء ـ كما اجتهد في ذلك أبوبكر ـ وقد نص القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وورث سليمان داوود...** ﴾ [3]، كما إنّ زكريا يدعو الله تعالى أن يرزقه من يرثه، فرزقه يحيى: ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً * يا زكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيى....** ﴾ [4] وليس معنى يرثني في الآية السابقة أن يرث النبوة، فالنبوة ليست بالوراثة، وبذلك فإن معنى قول الرسولﷺ : "لا نورث" هو أنّ الأنبياء لن يجمعوا أو

---

[1] سورة آل عمران: ١٤٤.

[2] منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ص٥٠٤ ـ ٥٠٥.

[3] النمل: ١٦.

[4] مريم: ٦ ـ ٧.

يكدسوا الذهب والفضة، ليكون ميراثاً بعدهم، كما يفعل الملوك وطلاب الدنيا.

وبحرمان أبي بكر لفاطمة عليها السلام من ميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد وجد البعض في ذلك فرصة للإدعاء بأن هذا الخلاف هو السبب وراء تخلف علي عليه السلام عن مبايعة أبي بكر، وليس لأنّه يرى نفسه صاحب الخلافة الشرعي. وإذا كان الأمر كذلك، فما معنى تخلف جمع من أعاظم الصحابة عن المبايعة أيضاً وقد والوا علياً؟ وما معنى قول عائشة: "إنّ علياً أرسل أبي بكر: ان آتنا ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر"؟؟ فعمر بن الخطاب لم يكن له أي تدخل في مسألة الخلاف في ميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بينما كان له الدور الحاسم في انهاء صراع السقيفة لصالح أبي بكر، هذا فضلاً عن أنّ مسألة الميراث لا تعتبر مانعاً أو مبرراً في أي حال من الأحوال لعدم إعطاء الإمام علي وفاطمة عليها السلام البيعة لأبي بكر أو حتى التخلف عنها.

هل ماتت فاطمة(عليها السلام) ميتة جاهلية؟

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنّه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية" [١] .

---

[١] صحيح البخاري: ج٩ ص٥٩ كتاب الفتن باب سترون بعدي أموراً تنكرونها.

وفي صحيح مسلم، قال الرسولﷺ: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" [1].

وفي مسند أحمد، قال الرسولﷺ: "من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية" [2].

فالأحاديث الثلاثة أعلاه تثبت قطعاً أن من يموت دون مبايعة الأمير أو الإمام، فإن ميتته تعتبر جاهلية، ولا شك أنّ الإمام المقصود هنا هو الإمام الواجب الطاعة حسب الشريعة الإلهية وليس غيره.

ولقد توفيت فاطمة الزهراءعليها السلام دون مبايعة الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، ليس ذلك فقط، بل وماتت غاضبة عليه وأوصت بأن لا يصلي عليها أو حتى يمشي في جنازتها، حيث أخرج البخاري في صحيحه ما روته عائشة رضي الله عنها بشأن حرمان أبي بكر لفاطمةعليها السلام من ميراث الرسولﷺ :

"... فغضب فاطمة بنت رسول اللهﷺ فهجرت أبابكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول اللهﷺ ستة أشهر....، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ج٤ ص١٤٧٨ ذ ح ٥٨.

[2] مسند أحمد: ج٤ ص٩٦.

وصلى عليها" [1].

فهل يمكن لأحد القول بأن الزهراءعليها السلام لم تسير على هدى التوجيهات النبوية في الأحاديث السابقة؟ حيث أظهرت عدم صبرها على ما رأته وكرهته من فعل الخليفة أبي بكر، وعدم طاعتها له واعتراضها وغضبها عليه، ووصيتها بأن لا يصلي عليها أو أن يمشي في جنازتها، الأمر الذي يدل على أنّها لم تبتعد عن سلطان أبي بكر شبراً واحداً فقط وإنما أميالاً كثيرة!

فهل يمكن القول بناءً على ذلك أنّ فاطمة الزهراءعليها السلام ماتت ميتة جاهلية؟؟

ولكن فاطمةعليها السلام وبإتفاق جميع فرق المسلمين هي سيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء الجنة، كما أثبت ذلك البخاري في صحيحه بقول الرسولصلى الله عليه وسلم: "يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة" [2] وكذلك قوله: "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة" [3]، وفضلاً عن ذلك، فإنّ الرسولصلى الله عليه وسلم يغضب لغضبها والذي يعني دون شك غضب الله تعالى على من يغضبها، كما

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص١٧٧، كتاب المغازي باب غزوة خيبر.

[2] صحيح البخاري ج٨ ص٧٩ كتاب الإستئذان باب من ناجى بين يدي الناس.

[3] صحيح البخاري ج٥ ص٣٦ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة رضي الله عنها.

جاء في الحديث: "إنّ الرسول ﷺ قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني" [1] . فكيف لأحد من الانس أو الجن أن يقول بأنّها ماتت ميتة جاهلية؟

فبناءً على ما سبق والأحاديث الصحيحة التي تحكم بميتة جاهلية لكل من يموت دون مبايعه الخليفة أو الأمير أو الإمام الواجب الطاعة، هناك احتمالين لا ثالث لهما:

الأول: أنّ فاطمة ماتت ميتة جاهلية، وكان أبوبكر الأمير الواجب الطاعة.

الثاني: أنّ فاطمة لم تمت ميتة جاهلية، وكان أبوبكر الأمير غير واجب الطاعة.

وهكذا فإنّ الائمة (أو الأمراء) الواجبي الطاعة والذين عدم مبايعتهم فيها ميتة جاهلية هم ليسوا أبابكر أو معاوية أو السفاح وغيرهم.

رابعاً: استخلاف عمر

لما نزل بأبي بكر المرض دعى عثمان بن عفان وقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبوبكر بن أبي قحافة إلى

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٣٦ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة رضي الله عنها.

المسلمين، أما بعد. فأغمى على أبي بكر، فكتب عثمان: أمّا بعد، فإنّي أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً، ثم أفاق أبوبكر فقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أسلمت نفسي في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرّها أبوبكر من هذا الموضع [1].

وكما يروى أيضاً أنّ عمر كانت بيده الصحيفة التي فيها استخلاف أبي بكر له ويقول للناس: "أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنّه يقول: إنّي لم آلكم نصحاً" [2].

وهكذا، فإنّه كما لعب عمر بن الخطاب ذلك الدور الحاسم في تنصيب أبي بكر خليفة يوم السقيفة بتخويفه للناس وبأخذه منهم البيعة لأبي بكر بالشدة - كما مر إثباته ـ مستغلاً الانشقاق الذي حصل بين صفوف الأنصار وغياب أصحاب الخلافة الشرعيين لانشغالهم بتجهيز الرسولﷺ لمثواه الأخير. فإنّ أبابكر أيضاً لعب نفس الدور، بتنصيب الخليفة عمر بعده، ولم يكلفه ذلك سوى حبرة قلم.

---

[1] تاريخ الطبري ج٣ ص٤٢٩، تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٤ ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

[2] تاريخ الطبري ج٣ ص٤٢٩.

وبالرغم من شدة مرض أبي بكر أثناء كتابته تلك الوصية بل واغمائه حينها، إلاّ أنّ أحداً لم يقل بأنّ أبابكر كان (يهجر) فيما كتب، بينما لم يتردد الخليفة عمر ومن كان يؤيده برمي الرسولﷺ بتلك الكلمة المؤلمة حين سألهم أن يأتوه بكتاب يكتبه لهم حتى لا يضلوا بعده أبداً!!

وزعم أبوبكر أن سبب تسميته للخليفة عمر بعده هو خشيته من الاختلاف بعده، وهكذا تقبّل أهل السنة هذا العذر منه بعد أن خالف الشورى التي يزعمون أنها المبدأ الذي يتم به انتخاب خليفة المسلمين. وسترى لاحقاً كيف أنّهم تقبلوا أيضاً حتى خلافة معاوية وابنه يزيد من بعده بالرغم من تسنمهم لإمرة المسلمين بالقهر وغلبة السيف الذي أعملوه برقاب المسلمين قتلاً لا سيما العترة الطاهرة من أهل البيت.

ولكن السؤال الذي أردنا طرحه هنا، لماذا لم يتقبل أهل السنة فكرة تسمية الرسولﷺ لخليفة بعده كما تقبلوا ذلك من أبي بكر؟ وخصوصاً أنّ أسباب الاختلاف على الخلافة وقت وفاة الرسولﷺ كانت أعظم مما كانت عليه زمن وفاة أبي بكر، هذا فضلاً عن النصوص الواضحة بوجوب الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام فيما يختلف به المسلمون بعد رحيل المصطفىﷺ واستخلاف علي بن أبي طالبعليه السلام .

خامساً: استخلاف عثمان:

لما طعن الخليفة عمر، قيل له استخلفت، فقال: لو كان أبو عبيدة الجراح حياً لاستخلفته، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، ثم قال لهم: "إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة، والأمر بعدي شورى" [1] قال: جعلت أمركم شورى إلى ستة نفر من المهاجرين الأولين، حيث سماهم قائلاً: "ادعوا لي علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فإذا اجتمع رأي أربعة، فليتبع الاثنان الأربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتبعوا رأي عبدالرحمن بن عوف فاسمعوا وأطيعوا..." [2].

ومن الرواية أعلاه يظهر أنّ الخليفة عمر قد جعل الترشيح بيد عبدالرحمن بن عوف، وهذه صورة ثالثة من صور الشورى التي يقولون بها، وقد أمر الخليفة عمر عبدالرحمن بن عوف أن يشترط فيمن يبايع له العمل بسيرة الشيخين ـ أبوبكر وعمر ـ بالإضافة إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه.

وكما كان متوقعاً، فقد انقسم الستة إلى ثلاثتين ومرشحين، فأما الثلاثة في الطرف الأول هم علي وطلحة والزبير ومرشحهم هو

---

[1] تاريخ الطبري ج٤ ص٢٢٧.

[2] أنساب الاشراف ج٦ ص١١٩، طبقات ابن سعد ج٣ ص٦١.

علي، وأما الثلاثة في الطرف الآخر فكانوا سعد وعثمان وطلحة ومرشحهم هو عثمان. وقد رفض الإمام علي عليه السلام شرط العمل بسيرة الشيخين حيث قال: "اعمل بكتاب الله وسنة نبيه واجتهادي"[1] بينما وافق عثمان على ذلك الشرط، فآلت إليه الخلافة تبعاً لذلك.

وقد أخرج البخاري جزءاً من هذه الحادثة في صحيحه، فبالرواية عن المسور بن مخرمة قال: "طرقني عبدالرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي علياً فدعوته فناجاه حتى أبهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع. ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى بالناس الصبح واجتمع اولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر. فلما اجتمعوا، تشهد عبدالرحمن ثم قال: أما بعد، يا علي إنّي قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً. فقال (عثمان): أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمن وبايعه

[1] خلفاء الرسول خالد محمد خالد ص٢٧٢ ط الثامنه.

الناس" [1].

وهكذا فإنّه بوضع الخليفة عمر شرط قبول من يبايع له العمل بسيرة الشيخين بجانب العمل بكتاب الله وسنة نبيه، يكون قد قرر الخلافة لعثمان من حينه، لأنه كان يعلم موقف الإمام علي عليه السلام من هذا الشرط بالإضافة إلى علمه بأن طلحة والزبير سيقفان في جانب علي لما عرف من موقفهما المؤيد له يوم السقيفة. أضف إلى ذلك إعطاء عمر حق الترجيح إلى عبدالرحمن بن عوف، ليتضح لك أي نوع من الشورى التي يزعمون؟

مقتل الخليفة عثمان:

لقد أثير كلام كثير حول مقتل الخليفة عثمان، وتضاربت الأقوال والروايات في ذلك، وخصوصاً بما يتعلق بالفئة التي كانت تحرّض على قتله، والأسباب التي كانت تدفعهم لذلك الأمر، وبلوغ تلك الأحداث ذروتها بمقتله.

على أنّ أرجح التفسيرات لذلك تكمن في الممارسات على صعيد سدة الحكم، وتعيين الولاة من أقرباء الخليفة عثمان وصرف الأموال لهم من خزينة الدولة الأمر الذي أثار ضده ملامة اللائمين وثورات الثائرين. يقول الكاتب المعروف خالد محمد خالد: "بل لا

---

[1] صحيح البخاري ج٩ ص٩٧ كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس.

نكاد نشك في أنّ عثمان كان يدرك أيضاً أنّ أكثر الذين رحبوا باختياره للخلافة دون علي كرم الله وجهه.... إنّما فعلوا ذلك رغبة منهم في الانعتاق من تزمت الحياة وتقشف المعيشة اللذين طالت معاناة الناس لهما، واللذين سيفرضان عناءهما من جديد لو تسنم الأمر علي بن أبي طالب الذي كان بمنهجه الصارم وعدله المكين وتقشفه وورعه يمثل امتداداً لصرامة عمر وعدله وتقشفه وورعه..." [1].

وقد لعبت أيادي أقرباء الخليفة عثمان من بني أمية بأموال الدولة لدرجة أنّ البعض يعتقد بأنّ الدولة الأموية بدأ حكمها منذ اختيار الخليفة عثمان ومبايعته، وهذا أبو سفيان يؤكد هذا الرأي أيضاً بقوله للخليفة عثمان بعد أن عقدت البيعة له: "يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة" [2]. وفي رواية أخرى: "تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار" [3].

وكان من ضمن الذين اعترضوا على الخليفة عثمان فضلاء الصحابة: كأبي ذر الغفاري، وعبدالله بن مسعود، وعمار بن ياسر،

---

[1] خلفاء الرسول لخالد محمد خالد ص٢٧٦ ط الثامنة.

[2] مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٥١، الاستيعاب ج٤ ص١٦٧٩.

[3] شرح نهج البلاغة ج٩ ص٣٨.

حيث وقف منهم الخليفة موقفاً متشدداً، وأجرى عليهم عقاباً مريراً. فأما أبوذر فقد لاقى النفي إلى الربذة عقاباً له بسبب اعتراضه على معاوية ـ والي الخليفة على الشام ـ في كنزه للذهب وتبذيره للمال على حساب بيت مال المسلمين.

فعن زيد بن وهبة قال: "مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ـ ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**﴾ [1] ـ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان ﵁ يشكوني. فكتب إليّ عثمان: أن أقدم المدينة فقدمتها: فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك.

فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا علي حبشياً لسمعت وأطعت" [2].

وأمّا عبدالله بن مسعود صاحب بيت المال في الكوفة، فقد لاقى كسراً في أضلاعه بعد أن ضربه غلام عثمان عقاباً بسبب اعتراضه على الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ أخ الخليفة عثمان لأمه

---

[1] سورة التوبة: ٣٤.

[2] صحيح البخاري ج٢ ص١٣٣ كتاب الزكاة.

وواليه على الكوفة بعد عزله لسعد بن أبي وقاص ـ لأخذه (ابـن أبـي معيط) مالاً من بيت مال المسلمين دون إرجاعه [1].

وأمّا عمار بن ياسر، فقد لاقى الفتق نتيجـة للـضرب المبـرح مـن غلام عثمـان عقاباً لـه لـصلاته علـى ابـن مـسعود ودفنـه دون إعـلام الخليفة عثمان بذلك. إلاّ أنّ عمار فعل ذلك بوصـية مـن ابـن مـسعود حتى لا يصلي عليه الخليفة [2]!

وغيرهم الكثيرون ممن اعترضوا على تبذير أقربـاء الخليفـة مـن بني أمية لأموال الدولة العامة، فمروان بن الحكـم مـثلاً أخـذ لوحـده خمس خراج افريقيا! وراجع المزيد عن الخليفـة عثمـان مـن كتـاب "خلافة وملوكية" للعلامة المودودي.

وقـد كـان لغـضب أم المـؤمنين عائـشة ﵂ واعتراضـها علـى الخليفه عثمان، بـل وتحريـضها علـى قتلـه بقولهـا: "اقتلـوا نعـثلاً فقـد كفر" [3] بعد أن اتهمته بتغيير سنة النبي ﷺ ما عمل على ازدياد

---

[1] البلاذري في أنساب الأشراف ج٦ ص١٤٧، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٠، شرح نهج البلاغة ج١ ص١٥٤.

[2] شرح ابن أبي الحديد ج٣ ص٤٢ و٤٧ و٥٠، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٠ ـ ١٧١.

[3] الطبري ج٤ ص٤٥٩، النهاية لابن الأثير ج٥ ص٨٠، وغيرها من المصادر.

الثورة ضده، فاجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر والشام والكوفة، فقتلوه.

بيعة الإمام علي عليه السلام :

بعد مقتل الخليفة عثمان، تهافت الناس على الإمام علي عليه السلام يطلبون يده للبيعة، فقالوا له: إنّ هذا الرجل قد قتل، ولابدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك. وتمت البيعة.

ولما أراد الإمام علي عليه السلام أن يقيم العدل بين الناس فيجعل الضعيف يساوي القوي لا فرق بينهما، وأن يقيم الحدود التي أنزلها الله في كتابه، فعارضه بعضهم، وقاموا ضده وأثاروا الفتن وسيّروا الجيوش معلنين العصيان والتمرد عليه، وكان ذلك في عدة مواقع أهمها موقعتا الجمل وصفين.

سادساً: موقعة الجمل وخروج أُمّ المؤمنين:

عندما علمت أم المؤمنين بمقتل الخليفة عثمان ومبايعة الناس لعلي قالت لعبيدالله بن كلاب الذي أخبرها بذلك: "والله ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ويحك أنظر ما تقول" فقال لها عبيد: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين. فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين، والله ما أعرف أحداً أولى بها منه، فلماذا تكرهين

ولايته؟ وصاحت أم المؤمنين: ردوني، ردوني. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه! فقال لها عبيد: ولم؟ فوالله أول من أمال حرفه لأنت، فقد كنت تقولين "اقتلوا نعثلاً فقد كفر"، قالت: إنّهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد واجتمع الناس إليها وقالت: يا أيها الناس، إنّ عثمان قتل مظلوماً، والله لأطلبن بدمه [1] .

وقد وافق غضب أم المؤمنين عائشة غضب طلحة والزبير بعد أن استردّ الإمام علي عليه السلام عهد ولايتي اليمن والبحرين منهما، فنكثا عهديهما للإمام علي عليه السلام ، وذهبا إلى مكة يحثون أم المؤمنين للسير إلى قتال علي، فخرجوا وقد سار معهم جيش كبير بقيادة أم المؤمنين متوجهين نحو البصرة حيث دارت رحى معركة عرفت باسم (معركة الجمل)، وقد كان الظفر فيها بجانب جيش الإمام وقتل فيها طلحة والزبير وثلاثة عشر ألفاً من المسلمين، وكل هؤلاء ذهبوا ضحية دعوة أم المؤمنين بالإقتصاص من قتلة عثمان والذين ادعت أنهم اندسّوا في جيش الإمام.

ومهما يكن الأمر، أولم يكن الأجدر بها أن تدع كل ذلك لولي الأمر؟

---

[1] الطبري ج٤ ص٤٥٩، ابن الأثير ج٣ ص٢٠٦.

وخصوصاً أنّ الله تعالى أمرها ﴿**وقرن في بيوتكنَّ**﴾ [1] . وما هـي وذاك؟

فعثمان رجل من بني أمية، وهي من تـيم. إلاّ إذا كـان لخروجهـا سبب آخر غير ذلك!؟

وبالرغم من أن واقع هذه الحادثة يُجيـب علـى هـذه التـساؤلات بوضوح فإنّه يضاف إلى ذلك تنبؤ الرسول ﷺ لهذه الفتنـة وإشـارته إلـى مـسببيها. فعـن عبـدالله قـال: "قـام النبـي ﷺ خطيبـاً فأشـار نحـو مـسكن عائـشة فقـال: هاهنـا الفتنـة، ثلاثـاً، مـن حيـث يطلـع قـرن الشيطان" [2] .

وقد اعتبر عمار بن ياسر أنّ طاعة عائـشة فـي هـذا الفعـل كانـت على حساب طاعة الله جل وعلا. فعن ابن زياد الأسدي قال:

"....فـسمعت عمـاراً يقـول: إنّ عائـشة قـد سـارت إلـى البـصرة، ووالله إنّها لزوجـة نبـيكمﷺ فـي الـدنيا والآخـرة، ولكـن الله تبـارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟" [3] .

---

[1] الأحزاب: ٣٢.

[2] صحيح البخاري ج٤ ص١٠٠ كتاب الخمس باب ما جاء في بيوت أزواج النبي.

[3] صحيح البخاري ج٩ ص٧٠ كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر.

وحتى قبل هذه الحادثة بأمد بعيد، فإنّ عائشة ﵂ عُرف عنها غيرتها الشديدة من علي، وكانت لاتطيق حتى ذكر اسمه. فعن عبيدالله بن عتبة (إنّ عائشة قالت: لما ثقل النبي ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذنّ له، فخرج النبي ﷺ بين رجلين تخط رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل آخر، قال عبيدالله: فأخبرت عبدالله بن عباس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا، قال: هو علي) [1].

ولعل ما سمعته عائشة ﵂ من قول علي لرسول الله ﷺ بشأنها في حادثة الافك كان سبباً لهذه الغيرة والضغينة، فعن عبيدالله بن مسعود قال: "...وأمّا علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير" [2].

وقد وصف أمير الشعراء أحمد شوقي غيرة عائشة من خلال أبيات يخاطب بها الإمام علي ﵇ :

يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل	ماذا رمت عليك ربة الجمل
أثأر عثمان الذي شجاها	أم غصة لم ينتزع شجاها
ذلك فتق لم يكن بالبال	كيد النساء موهن الجبال

[1] صحيح البخاري ج١ ص٦١ كتاب الوضوء باب صب النبي وضوءه على المغمى عليه.

[2] صحيح البخاري ج٦ ص١٢٩ كتاب التفسير باب ـ لولا إذ سمعتموه ـ

وإنّ أم المؤمنين لامرأة وإن تك الطاهرة المبرأة
أخرجها من كنها وسنها ما لم يزل طول المدى من ضغنها

أُسطورة عبدالله بن سبأ:

وموجز هذه الأسطورة: "أنّ هذا الشخص اسمه عبدالله بن سبأ وهو يهودي من اليمن، أظهر إسلامه في عصر عثمان ليكيد بالمسلمين، فتنقل في الحواضر الإسلامية مصر،والشام، والبصرة، والكوفة مبشراً برجعة النبيﷺ ، وأنّ علياً هو وصيه، وأن عثمان غاصب حق هذا الوصي، فمال إليه وتبعه جماعات من كبار الصحابة والتابعين من أمثال عمار بن ياسر وأبي ذر ومحمد بن أبي حذيفة، وغيرهم، واستطاع أن يجيّش الجيوش لقتل الخليفة عثمان حتى قتلوه في داره – وهكذا تتسلسل حوادث هذه الأسطورة الموضوعة حتى تنتهي بحرب الجمل ـ حيث يأمر عبدالله بن سبأ أتباعه بالإندساس في جيش علي وعائشة دون علمهما، فيثيروا الحرب، وهكذا وقعت معركة الجمل" [1] .

وكما ذكر العلامة السيد مرتضى العسكري [2] والذي تصدى

---

[1] أحاديث أم المؤمنين للعلامة العسكري ص٢٧٢.

[2] وقد نفى أيضاً وجود هذه الشخصية عدد من العلماء المحققين مثل الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى ج١ ص٧٦٠، والدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التشيع والتصوف ج١ ص٤٦ ـ ٤٧.

لكشف زيف هذه الأسطورة الخرافية: (إنّ واضعها هو سيف بن عمرو التميمي البرجمي الكوفي المتوفي سنة ١٧٠ هـ ومنه أخذ جميع المؤرخين، ثم اشتهرت القصة وانتشرت في كتب التاريخ مدى القرون حتى يومنا هذا، حتى أصبحت من الحوادث الشهيرة التي لا يتطرق إليها الشك، وقد فات المعظم من الكتّاب والمؤرخين الشرقيين والمستشرقين أنّ هذه الأسطورة وضعها راو واحد فرد لا شريك له، وأنّ الراوي هذا ـ سيف بن عمرو ـ مشهور عند القدامى من علماء الحديث بالوضع ومتهم بالزندقة، حيث قال فيه أبو داود: "ليس بشيء، كذاب"، وقال ابن عبدالبر: "سيف متروك وإنّما ذكرنا حديثه للمعرفة"، وقال فيه النسائي: "ضعيف متروك الحديث ليس بثقة ولا مأمون". وقد أخذ عن هذا الراوي الطبري وابن عساكر وابن أبي بكر ومن الطبري أخذ سائر الكتّاب والمؤرخون إلى يومنا هذا) [١].

ومن المعروف أنّ روايات الآحاد لا تفيد إلاّ الظن العلمي، ولا تفيد يقيناً، فما بالك إذا كان هذا الراوي غير ثقة وقد اشتهر بكذبه وزندقته، فهل تقبل روايته؟

وكيف يقبل أن يحكم على طائفة كبرى من المسلمين بالاعتماد على روايات آحاد ثبت كذب أصحابها، ويهمل ما تواتر عن رسول الله ﷺ من أحاديث تثبت عكس ذلك؟ وإنّه لمن أكبر

---

[١] بتصرف عن كتاب عبدالله بن سبأ للعلامة السيد مرتضى العسكري: ص٤٧ ـ ٧١، ٧٦ ـ ٧٧.

مهازل التاريخ أن ينسب التشيع إلى رجل أسطوري ـ عبدالله بن سبأ ـ زاعمين نشره لفكرة "علي الوصي" بالرغم من وجود ذلك الكم الهائل من النصوص الصحيحة التي تثبت بأنّ التشيع لم يكن إلاّ محمدياً لا غير وراجع نصوص الإمامة في الصفحات السابقة لترى أين محل " عبدالله بن سبأ" فيها من الإعراب.

أعبدالله بن سبأ القائل: "إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي؟، أهو القائل: "من كنت مولاه فعلي مولاه"؟ أهو القائل باستخلاف الأئمة الإثني عشر؟

وأي مهزلة هذه تقول بأنّ رجلاً يهودياً يأتي من اليمن ويعلن إسلامه نفاقاً، ثم يعمل كل تلك الأعمال الخارقة والتي تصل لحد تسييره لجيوش المسلمين ضد بعضها البعض دون علم أحد فيه؟ وهل من المعقول أن يقع الإمام علي عليه السلام الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا مدينة الحكمة وعلي بابها" ضحية لخدعة هذا اليهودي؟ لاشك أن من يقول بذلك قد ضل ضلالاً بعيداً.

سابعاً: موقعة صفين وتمرد معاوية:

بعد أن تمّ لعلي عليه السلام النصر في موقعة الجمل، توجه بجيشه لتصفية المعارضة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان في الشام، وتلاقى الجيشان عند الفرات، وقد حاول الإمام إصلاح الموقف بالوسائل السلمية، إلا أنّ رد معاوية على الوفد الذي بعثه إليه الإمام

كـان: "انـصرفوا عنـي فلـيس عنـدي إلاّ الـسيف"[1]. وهكـذا الـتحم الجيشان، وعندما لاحت تباشير النصر لصالح جيش الإمامعليه السلام، دبّـر معاويـة "خدعـة المـصاحف"، فـأمر جنـوده برفـع المـصاحف علـى رؤوس الرماح، ومع أنّ الإمام تصدى لكشف هذه المـؤامرة التـي يـراد بها عرقلة النصر الذي كان وشيكاً لصالح جيش الإمام عليعليه السلام، إلاّ أنّ المطالبين بإيقاف القتال في جيشه لم يستجيبوا لنداءاته المتكـررة واضطروه إلى قبول التحكيم، ورغم معارضة الإمام الشديدة لاختيار أبي موسى الأشعري كطرف ممثلاً عن جيـشه فـي التحكـيم لـضعفه ووهن رأيه، حيث قال لهم الإمامعليه السلام: "لا أرى أن تولـوا أبـا موسـى الحكومة، فإنّه ضعيف عن عمرو ومكائده"[2]، وكان علـي قـد عـزل أبا موسى عن ولاية الكوفة أيضاً. وقد كان هناك تخطيط مسبق لرفع المصاحف والتنسيق لذلك مع حركة موالية لمعاوية مندسة فـي جـيش الإمام والتي عملت على المطالبة بقبول التحكـيم واختيـار الأشـعري ممثلاً في التحكيم، وقد جاءت نتـائج التحكـيم ـ كمـا توقـع الإمـام ـ لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شـيئاً فـشيئاً بعـد هـذا التمـرد الكبير والخروج عن طاعة خليفة المسلمين بغياً منه وطمعاً في النعيم الدنيوي الذي طالما حلم به.

---

[1] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٨٧.

[2] تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٩٦.

وقد كنت في الماضي استغرب كثيراً لهذه الواقعة التي قتل فيها ما يزيد على التسعين ألفاً من الجانبين، وكانت الإجابة كالمعتاد فيقولون: (إنها كانت مجرد فتنة حصلت بين صحابيين جليلين، وقد اجتهدا، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد، ولا ينبغي التفكير في ذلك، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) وغير ذلك مما يسدون به أي باب من شأنه أن يكشف النقاب عن هذه (الفتنة) كما يسمونها. وهكذا تبقى هذه المسألة بنظر أهل السنة معلقة وكأنها لغز غامض ليس له حل، مما فتح الباب على مصراعيه للمستشرقين ليدلوا بدلوهم في ديننا، حتى أنّ بعضهم قال بأنّه يوجد في الإسلام تناقض، مشيراً إلى حديث رسول الله ﷺ : "إذا تلاقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" والذي يتعارض مع قول أهل السنة بأنّ الفريقين في موقعة صفين كانا مسلمين وقائداهما صحابيين جليلين!! فلماذا هذا الإصرار على عدم تمييز الحق من الباطل؟ فلماذا لا تقال الحقيقة إذن؟ وهل هي فعلاً غامضة؟

وعلى كل حال، فإن الذي قد التبس عليه معرفة حقيقة معاوية، فليتمعن بما يلي من دلائل، وليكن للقارىء حكمه بعد ذلك:

فقد أخرج مسلم في صحيحه قول علي عليه السلام: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي ﷺ أنّه لا يحبني إلاّ مؤمن ولا

يبغضني إلاّ منافق" [1] فما بالك بالذي يسيّر الجيوش لقتاله؟ وما هو حكم أهل السنة بمن يخرج عن طاعة إمام المسلمين الواجب الطاعة؟

وفي صحيح البخاري ما يشير إلى بغي معاوية. فعن أبي سعيد الخدري قال: "كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين فمر به النبي ﷺ ومسح على رأسه الغبار وقال: ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار" [2] وقد تحققت نبوءة الرسولﷺ هذه عندما استشهد عمار وهو يقاتل تحت راية الإمام علي عليه السلام في صفين.

وفي مستدرك الصحيحين بالسند عن خالد العربي قال: (دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة فقلنا: يا أبا عبدالله، حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: قال رسول اللهﷺ دوروا مع الكتاب حيث ما دار. فقلنا: فإذا اختلف الناس فمع من نكون؟ فقال: انظروا الفئة التي فيها ابن سمية، فالزموها، فإنه يدور مع كتاب الله، سمعت رسول اللهﷺ يقول

---

[1] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب حب علي كرم الله وجهه من الايمان ج١ ص٨٦ ح٧٨.

[2] صحيح البخاري ج٤ ص٢٥ كتاب الجهاد باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله.

لعمار: يا أبا اليقظان لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية عن الطريق)[1] .

وقد كان بغي معاوية وتمرده متوقعاً، فمنذ أن تسلّم ولاية الشام في عهد الخليفة عمر، والنعيم والجاه والقصور التي بناها، وتوسعه بكل ذلك زمن الخليفة عثمان، لم يكن من السهل على رجل مثله أن يتخلى عنها، وكان يعلم يقيناً أنّ الإمام علياً عليه السلام إن لم يعزله من الولاية، فإنّه على الأقل سيجرده من جميع ما تملكه على حساب بيت مال المسلمين، وإنّه سيساويه مع غيره من المسلمين.

وحادثته مع الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري في عهد الخليفة عثمان لتدل أيضاً على ما نقول به من تكالبه على الدنيا وتبذيره لأموال الدولة العامة، وقد أدّى اعتراض أبي ذر على معاوية بأن أمر الخليفة عثمان بنفيه إلى الربذة بعد أن استدعاه إلى المدينة. فعن زيد بن وهبة قال: "مررت على أبي ذر بالربذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام فقرأت ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾[2] قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلاّ في أهل الكتاب. قال: قلت: إنّها لفينا وفيهم" [3]،

[1] مستدرك الصحيحين ج٢ ص١٤٨.

[2] سورة التوبة: ٣٤.

[3] صحيح البخاري ج٦ ص٨٢ كتاب التفسير باب قوله والذين يكنزون الذهب.

وهكذا فقد عوقب أبوذر بالنفي بالرغم من شهادة الرسولﷺ له بالصدق عندما قال: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر"[1].

ويظهر من هذه الحادثة كيف تلاعب معاوية بتفسير القرآن من أجل التغطية على تبذيره لأموال الأمة التي ليس له أي حق فيها. والمصيبة أنّ البخاري قد أخرج في صحيحه ما يجعل من معاوية فقيهاً، فعن ابن أبي مليكة قال: "أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: دعه فإنّه قد صحب رسول اللهﷺ"[2] وفي رواية أخرى: قال إنّه "فقيه"[3]! وإذاعلمت أنّ معاوية أمضى عشرين عاماً كخليفة للمسلمين، وقبلها كوال على الشام، فللقارىء أن يتصور عندئذ المدى الذي تمكن فيه معاوية التأثير في وضع ونقل أحاديث تنسب إلى رسول اللهﷺ لتبرير أفعاله والتي بالرغم من كل الجهود التي بذلت للتغطية عليها، بقيت واضحة في كتب الحديث والتاريخ بصورة لا تبقي أي التباس في معرفة حقيقة هذا الخليفة والذين اعتبروه أيضاً أميراً للمؤمنين!!

---

[1] صحيح الترمذي ج٥ ص٦٦٩ مناقب أبي ذر (رض)، مسند أحمد ج٢ ص١٧٥.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص٣٥ كتاب فضائل الصحابة باب ذكر معاوية.

[3] صحيح البخاري ج٥ ص٣٥ كتاب فضائل الصحابة باب ذكر معاوية.

وخلق معاوية في الولاية والحكم له جذوره في عائلته السفيانية حيث قال أبوه لعثمان بعد عقد البيعة له: "يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم" [1] وفي رواية أخرى بزيادة: "...فما هناك جنة ولا نار". وفي ذلك ما يشير إلى حقيقة الهدف الذي دخلت فيه هذه العائلة في الإسلام من أجله بعد فتح مكة حيث دخل في الإسلام جميع أهلها، وانظر في الرواية التالية لتعلم أي نوع من الإسلام هذا الذي دخلوه وهم له كارهون، فعن عبدالله بن عباس قال: "قال أبو سفيان: والله ما زلت ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر، حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره" [2]، فإذا كان لسان أبي سفيان قد تحدث بذلك، فما بالك لو قُدر لقلبه أن يتكلم عما بداخله؟

ومن أقوال الرسول ﷺ في معاوية ما أخرجه مسلم في صحيحه: (بعث النبي ﷺ إليه ذات يوم ابن عباس يدعوه ليكتب له، فوجده ابن عباس يأكل، فأعاده النبي ﷺ إليه يطلبه، فوجده يأكل إلى ثلاث مرات، فقال النبي ﷺ: لا أشبع الله بطنه) [3]، وفي صحيح

---

[1] مروج الذهب ج٢ ص٣٥١، الاستيعاب ج٤ ص١٦٧٩.

[2] صحيح البخاري ج٤ ص٥٧ كتاب الجهاد.

[3] صحيح مسلم ج٤ ص٢٠١٠ ح٩٦ كتاب البر والصدقة والآداب باب من لعنه النبي صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص١٥٢.

مسلم أيضاً، قال الرسولﷺ: "...أما معاوية فصعلوك لا مال له" [1].

وفي مسند أحمد، قال الرسولﷺ في معاوية وعمرو ابن العاص: "اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى النار دعاً" [2].

وغير ذلك الكثير من الروايات التي تبين حقيقة أميرالمؤمنين معاوية ابن آكلة الأكباد والذي ختم أعماله في هذه الدنيا بتنصيبه لابنه يزيد السكير الفاسق خليفة على المسلمين من بعده، وليس عنده من العمر ما يزيد على عشرين عاماً مخالفاً بذلك ليس فقط معاهدة الصلح التي عقدها مع الإمام الحسنعليه السلام بل يكون قد خالف الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين وكل السنن الأخرى التي يتحدث عنها أهل السنة.

ثامناً: استشهاد الإمام علي عليه السلام :

كانت آخر موقعة خاضها الإمام عليعليه السلام هي موقعة النهروان، حيث خاض بها قتالاً ضد المجموعة التي فرضت التحكيم عليه في

[1] صحيح مسلم ٢ ص١١١٩ ح٤٧ كتاب الطلاق باب المطلقة البائن لا نفقة لها.

[2] مسند أحمد ج٤ ص٤٢١.

صفين، ولكنها ندمت بعد عدة أيام، فنكثت عهدها وخرجت من بيعة الإمام، وقد عرفوا فيما بعد باسم "الخوارج" أو "المارقين"، وقد انتصر عليهم الإمامعليه السلام، وكان يتهيأ لاستئناف قتال المتمردين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء بين الحكمين، بيد أنّ الإمامعليه السلام استشهد على يد أحد أفراد الخوارج وهو "عبد الرحمن بن ملجم" عندما طعن الإمام بسيف وهو في سجوده، عند صلاة الفجر في مسجد الكوفة صبيحة اليوم التاسع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة بعد خمسة أعوام من الحكم.

وقد بقي الإمامعليه السلام يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة إلى ولده الحسن السبطعليه السلام ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الأمة.

وهذا الاستخلاف لم يكن بلحاظ أنّ الحسنعليه السلام كان ابناً لعليعليه السلام، أو أنّه كان الأصلح للخلافة بنظره، وإنّما عملاً بأمر الله تعالى الذي اختار خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم الإثني عشر ـ كما مر سابقاً ـ حيث كان الإمام الحسن عليه السلام ثانيهم.

تاسعاً: معاهدة الصلح واستشهاد الإمام الحسنصلى الله عليه وسلم :

بعد استشهاد الإمام عليعليه السلام، اعتلى الإمام الحسنعليه السلام المنبر ونهض أهل الكوفة وبايعوه خليفة للنبيصلى الله عليه وسلم وإماماً للأمة، إلاّ أنّ

ذلك لم يدم سوى ستة شهور، فعندما وصل الشام نبأ استشهاد الإمام علي عليه السلام، تحرك معاوية بجيش كبير نحو الكوفة ليأخذ بيده زمام المسلمين، ويجبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام على الاستسلام.

ولم يجد الإمام الحسن عليه السلام مناصاً سوى المسالمة وعقد ميثاق صلح مع معاوية. وأمّا الأسباب التي فرضت عليه عقد مثل هذا الصلح فقد كانت تفكك جيشه ووضع العراق الداخلي المضطرب من جهة، والأمبراطورية الرومانية التي كانت تتحين الفرصة لضرب الإسلام وقد تأهبت بجيش عظيم لحرب المسلمين من جهة أخرى، مما يؤكد أنّه لو نشبت حرب بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام في ظل هذه الظروف لكان المنتصر فيها أمبراطورية الروم وليس الإمام الحسن عليه السلام ولا معاوية.

وهكذا فإنّ الحسن عليه السلام بقبوله السلام قد أزال خطراً كبيراً كان يهدد الإسلام، وأمّا بنود معاهدة الصلح فكانت:

١ ـ يسلّم الحسن بن علي عليه السلام الحكومة وأزمّة الأمور إلى معاوية على شرط أن يعمل معاوية وفق مبادىء القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ تكون الخلافة بعد موت معاوية حقاً خاصاً بالإمام الحسن عليه السلام، وإذا حدث له حادثة فإنّ الخلافة ستكون لأخيه الإمام الحسين عليه السلام.

٣ ـ تمنع الشتائم وكافة الإساءات ضد الإمام علي عليه السلام سواء على المنابر أو غيرها.

٤ ـ ينفق مبلغ خمسة ملايين درهم الموجودة في بيت المال في الكوفة تحت إشراف الإمام الحسن عليه السلام، ويجب على معاوية أن يرسل سنوياً مليون درهم من الخراج إلى الإمام الحسن عليه السلام، ليوزعها على عوائل أولئك الذين استشهدوا في معركتي الجمل وصفين إلى جانب الإمام علي عليه السلام .

٥ ـ يتعهد معاوية بأن يدع الناس قاطبة من أي جنس وعنصر في منأى من الملاحقة والأذى، ويتعهد أيضاً أن ينفذ بنود هذا الصلح بدقة ويجعل الملة عليه شهيداً.

إلاّ أنّ الإمام الحسن عليه السلام استشهد في سنة ٥٠ هـ بعد أن دست له زوجته (جعدة بنت الأشعث بن القيس) السمّ، والتي كانت تنسب إلى إحدى الأسر المخالفة للعلويين. وقد حرّضها معاوية على اقتراف هذه الجريمة السوداء بإرساله إليها مائة ألف درهم، ووعده إيّاها بأن يزوجها بابنه يزيد إذا دست السم للحسن عليه السلام. وقد فرح معاوية فرحاً كبيراً عندما علم باستشهاد الإمام الحسن عليه السلام، إذ كان يرى أنّ أكبر عقبة بوجه مآربه ـ وخصوصاً توطيد الحكم للأسرة الأموية ـ قد زالت من الوجود.

وهكذا فقد تم لمعاوية بعد ذلك ما أراد، وتمكن من تنصيب

ابنه المراهق الخليع يزيد على الأمة قهراً. فأين هذا من اعتقاد أهل السنة بأنّ الخلافة هي بالشورى؟ أو لم يرفضوا النصوص التي تدلّ على استخلاف أئمة أهل البيت بحجة أنّ الخلافة هي بالشورى؟ أو ليس يدل هذا على أنّ الخلافة ـ على رأيهم ـ إن لم تكن بالشورى فهي غير شرعية؟ ولكن لماذا اعتبروا أنّ خلافة يزيد شرعية؟ وكيف قبلوا تسميته بأميرالمؤمنين؟

وتأمل فيما يلي لترى شيئاً من صفحات تاريخنا الإسلامي السوداء، وسرداً لقبس من قبسات حياة "أميرالمؤمنين" يزيد بن معاوية بن أبي سفيان!!

عاشراً: ثورة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام :

بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، في سنة خمسين للهجرة، شرعت الشيعة في العراق بمراسلة الحسين عليه السلام وطلبت منه أن يعزل معاوية عن امرة المسلمين، ولكن الحسين عليه السلام ذكر في جوابه إليهم أنّ له مع معاوية عهداً وميثاقاً لا يستطيع نقضهما.

وأما معاوية فقد كان يقوم طيلة العشرين سنة من حكمه بتهيئة وتوطيد الخلافة لابنه "الماجن" يزيد ليجعل منه أميراً للمؤمنين، مخالفاً بذلك ليس معاهدته مع الإمام الحسن عليه السلام فحسب والتي عاهد الله عليها، وإنّما نقض وخالف ما عليه أهل السنة من اعتقاد بأنّ

اختيار الخليفة يكون بالشورى، واشتراط الصلاح والتقوى فيه، لترى مدى الجرم الذي اقترفه معاوية بحق الإسلام والمسلمين، والذي تبعه على منهجه بقية خلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين والذين يصعب تفريق غالبيتهم العظمى من حكام المسلمين الفسقة الفجرة في عصرنا.

وبعد موت معاوية سنة ستين للهجرة، تربع يزيد على سدة الحكم، فكان بلاطه بؤرة المجون والإثم، فهو وباعتراف جميع فرق المسلمين كان يحتسي الخمور علانية، ويشرب حتى الثمالة في السهرات الحافلة ومن أقواله المأثورة أشعار ضحلة نذكر فيها:

شغلتني خمرة الديدان عن صوت الاذان

وتعوضت عن الحور عجوزاً في الدنان

ولا غرابة في ذلك، فيزيد تربى على يد مربية مسيحية، وكان كما يصفه المؤرخون شاباً أهوجاً، خليعاً، مستبداً، مترفاً، ماجناً، قصير النظر، وفاقداً للحيطة، وقد روي عنه أيضاً: أنه صلى مرة بالمسلمين صلاة الجمعة يوم أربعاء، وصلى بهم الفجر أربع ركعات بعد أن كان شارباً حتى الثمالة وغير ذلك الكثير الكثير مما ليس في هدفنا تبيانه، وإنّما ذكرنا لتلك الانتهاكات ما هو إلاّ وسيلة لإلقاء الضوء على الظروف التي رأى فيها الإمام الحسين عليه السلام وجوب الانتفاضة والثورة مستهدفاً إحياء الإسلام والسنن الدينية بعد أن

أصبحت مهددة بالمسخ والفناء، ولم يكن هدف الإمام الحسين عليه السلام في ثورته الاستيلاء على الخلافة والسلطة، فهو يعلم أنّ حظوظ بني أمية في المحافظة عليها أوفر وخصوصاً بعد نكوص أهل العراق ورهبتهم من الأمويين.

ويصرّح الإمام الحسين عليه السلام في إحدى خطاباته بالقرب من كربلاء عن سبب انتفاضته بقوله: "أيها الناس، من رأى إماماً جائراً يحلل حرمات الله وينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويخالف سنة نبيه، ويحكم بين عباد الله بالإثم والجور ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يكبه معه في النار" وكذلك قوله: "أيها الناس، إنّهم أطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمان، وأفسدوا في الأرض، وعطلوا السنن واستأثروا ببيت أموال المسلمين، وحلّلوا حرمات الله، وحرّموا ما أحله الله، وأنا أحق الناس بالإنكار عليهم".

وعندما علم الإمام الحسين عليه السلام بالنكوص والارتداد الذي حصل في الكوفة، جمع أصحابه وأهل بيته الذين كانوا بصحبته وصارحهم قائلاً: "قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف، فلينصرف، فليس عليه منا ذمام" فتفرقوا من حوله يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة والمدينة.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام بقى مصرّاً على قراره وبنفس العزيمة التي انطلق بها من مكة المكرمة، وليس معه سوى أصحابه وأخوته

وأبناءه وأبناء عمومته، ولا يتجاوز عددهم ثماني وسبعين، وقد كـان لسان حاله يقول كما وصف أحد الشعراء:

إن كان دين محمد لم يستقم   إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

والتقى بالجيش الذي أرسله والـي الخليفـة الأمـوي يزيـد علـى الكوفة "عبيدالله بن زياد" بقيـادة عمـر بـن سـعد، وكـان قوامـه اثنـين وثلاثين ألفاً كما في بعض الروايات"؟

وكان طبيعياً أن تمكن جيش يزيد بن معاوية من قتل هذه الفئـة القليلة العدد، وقد تجسدت في ذلك اليوم صورة مأسـاة أهـل البيـت ومظلوميتهم بأجلى صورها، وكأن يزيد بن معاوية في هذه المذبحـة كان يدفع الأجـر الـذي سـأله رسـول اللهﷺ : "قـل لا أسـألكم عليـه أجراً إلاّ المودة في القربى".

ولقد حدّث التاريخ عـن مـشاهد وصـور مأسـاوية يـصعب علـى أحد وصفها على حقيقتها.... ومن ذلك مأساة طفل رضيع هو عبـدالله ابن الإمام الحسينعليه السلام، الذي حمله الإمام إلى المعسكر الأموي يطلب له الماء بعد أن حالوا بين مخيم الحسينعليه السلام وبين ماء الفرات، وأخذ منهم العطش مأخذه... حمله يطلب له الماء وليحرك ضمائرهم ويثير إحساسهم الإنساني، فما كان منهم إلاّ أن صوّبوا سهماً نحـو الرضـيع فأردوه قتيلاً، واستمرّ تساقط الشهداء من أصحاب الحسينعليه السلاموأهل بيته الواحد تلو الآخر. وكان الحسينعليه السلامآخر من استشهد فـي تلـك

المعركة الحاسمة، ولم يكتفوا بقتل سيد شباب أهل الجنة، بل احتزّوا رأسه وفصلوه عن جسده، وحمل رأس الحسين ورؤوس أصحابه هدايا يقتسمها القتلة، ويرفعونها متوجهين بها إلى يزيد بن معاوية في الشام والذي لا يزال يصرّ بعض المسلمين على تسميته بأمير المؤمنين، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله....!

وبعد سرد كل هذه الأحداث التي تبين بوضوح الأهداف السامية التي من أجلها قام الحسين عليه السلام بثورته، والتي وصفها الداعية الإسلامي الكبير الدكتور عمر عبدالرحمن بقوله: "إنّ استشهاد الحسين أعظم ألف مرة من بقائه على قيد الحياة". إلاّ أنّه وجد أيضاً من ينتقص من قيمة هذه الثورة العظيمة لوقوعهم ضحية الإعلام الأموي المضلل ـ والذي حاول جاهداً تزوير التاريخ ـ ولوقوعهم ضحية التعصب المذهبي المقيت، فيضطرون بذلك إلى هذا التحريف الشائن كقول (شيخ الإسلام) ابن تيمية مثلاً ما معناه: أنّ الإمام الحسين عليه السلام بثورته هذه، قد أحدث فتنة في أمة الإسلام بخروجه عن طاعة ولي أمر المسلمين!! وإذا سألنا شيخ الإسلام عن خروج معاوية من طاعة الإمام علي عليه السلام، فإنّه يرى بأنّ ذلك كان فتنة بينهما ولا ذنب لهما فيها، وهكذا بالنسبة لخروج عائشة رضي الله عنها أيضاً على الإمام علي عليه السلام.

وما هذه إلاّ صورة من صور محاولات التزييف المكشوف في تاريخنا الإسلامي، وإلاّ فكيف نفسر تجاهل معظم أهل السنة لهذه

المأساة التأريخية، والتي يقتل فيها أبناء رسول الله ﷺ بأبشع ما يكون القتل والتعذيب، وقد سار على نهج معاوية وابنه يزيد سائر أبناءهم من ملوك بني أمية والعباس في قمع أي حركة معارضة لسلطانهم، وخصوصاً آل البيت النبوي الذين كانوا ملاحقين دائماً بالاضطهاد والتشريد والقتل والتعذيب.

ولم يقتصر هذا الظلم ضد آل البيت النبوي فحسب، فقد كان من ضمن ضحايا الاستبداد الأموي من غير آل البيت عبدالله ابن الزبير مثلاً، حيث سجل التاريخ ذلك المشهد المأساوي في الحرم المكي عندما ذُبح و سُلخ ابن الزبير و الذي لم تشفع له قدسية هذا المكان الذي كانت حتى الجاهلية تقدّسه و تعظّمه ولا تستبيح فيه دماء الوحش فضلا عن البشر، ولم تشفع له الكعبة عند حكام بني أمية والتي تعلق بستائرها؟؟ والتي حتى رميت بالمنجنيق في عهد عبدالملك بن مروان الذي أطلق العنان ليد طاغيته الحجاج ليقتل ويذبح الناس بغير حق. وقد قال فيهما الحسن البصري: "لو لم تكن لعبد الملك سيئة سوى الحجاج لكفته"، وقول عمر بن عبدالعزيز ﵁: "لو جاءت كل أمة بطاغيتها، وجئنا بالحجاج لغلبناهم". فضلاً عما عرف من تمزيق الوليد بن عبدالملك لكتاب الله وغير ذلك الكثير الكثير. فهل تؤهل هذه الأعمال صاحبها أن يكون مسلماً فضلاً عن أن يكون خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين؟؟

لا شك أننا اليوم بحاجة إلى إعادة النظر في تأريخنا [1] الإسلامي وإمعان النظر في كثير من الحوادث فيه واستنطاقها لما لها من ارتباط وثيق برسم معالم المذاهب الإسلامية التي عليها المسلمون اليوم، ولما فيها ما يساعد على معرفة حقيقة هذه الطائفة أو تلك بعيداً عن الظلم والتجني. فبسبب تلك الحوادث تفرع المسلمون عن الخط الإسلامي المحمدي الأصيل وأصبحوا بذلك طوائف وشيعاً متفرقة كل منها تزعم بأنها الطائفة الناجية، وليس لأحد في عصرنا أن ينتظر وحياً من السماء ليخبره باسم هذه الطائفة، وقد أعطانا الله جل ثناؤه عقلاً لنميز به الخبيث من الطيب وجعله حجة على عباده، ونهانا عن التقليد لأعمى بقوله: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون**﴾ [2]، وبقوله: ﴿**بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون**﴾، وأمرنا بالبحث والتقصي قبل الأخذ والتصديق بقول كل من هب ودب. عندما قال: ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ [3].

---

[1] انظر الصورة المرفقة لغلاف كتاب "حقائق عن أميرالمؤمنين يزيد" لترى المدى الذي وصل إليه البعض في تزييف هذا التأريخ!!

[2] المائدة: ١٠٤.

[3] الحجرات: ٦.

الفصل الثاني

عدالة الصحابة

إن مسألة الصحابة ودرجة عدالتهم هي من أكبر المسائل المختلف عليها بين أهل السنة والشيعة، ومن أكثرها حساسية، فأهل السنة يرون الصحابة جميعهم عدولاً لا يتطرق إليهم الجرح، ولا يجوز نقدهم أو الشك فيما يروونه من حديث رسول اللهﷺ، وهم بذلك يلتزمون بكل ما رواه الصحابي.

والصحابي عند أهل السنة ـ كما ذكر النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم ـ هو: "كل مسلم رأى رسول اللهﷺ ولو لحظة، وهذا هو الصحيح في حده، وهو مذهب ابن حنبل والبخاري في صحيحه والمحدثين كافة" [1].

وأمّا الشيعة فإنّهم يرون أنّ الصحابة لم يكونوا على درجة

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٣٥.

واحدة من العدالة، وهم معرضون للجرح والنقد مستندين في ذلك إلى أدلة دامغة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وأمّا ما يفترى به على الشيعة بأنّهم يكفرون جميع الصحابة بالإضافة إلى سبّهم ولعنهم ما هو إلاّ كذب صارخ، فنقد الصحابي لا يعني تكفيراً له كما يشيع بعض السخفاء، وإذا كان ذلك النقد مبنياً على الأدلة المقنعة، فلماذا الغضب وكل هذه الضجة؟

ففي الصحابة مؤمنون أثنى الله عليهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...**﴾[1]، فكما ذكر العلامة لطف الله الصافي بشأن هذه الآية: (إنّ الله تعالى قد خص الثناء بالمؤمنين فقط ممن حضروا بيعة الشجرة، ولم تشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبدالله بن أبيّ وأوس بن خولى، فلا دلالة للآية على كل من بايع، ولا تدل على حسن خاتمة أمر جميع المبايعين المؤمنين، فالآية لا تدل على أكثر من أنّ الله تعالى رضي عنهم بيعتهم هذه ـ أي قبلها منهم ـ ويثيبهم عليها، فرضا الله عن أهل هذه البيعة ليس مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد، والدليل على ذلك قوله تعالى بشأنهم: ﴿ **إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد**

[1] الفتح: ١٨.

عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ [1]، فلو لم يجز أن يكون من المبايعين من ينكث بيعته وكان رضا الله عنهم إلى الأبد، لما كانت هناك فائدة لقوله تعالى: ﴿**فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه**﴾ [2].

وفي الصحابة من أخبر الرسول ﷺ بردتهم بعد وفاته، ومن ثم هلاكهم يوم القيامة من خلال الحديث التالي الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد قال:

"سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم. قال: لسمعته يزيد فيه، قال: إنّهم مني، فيقال: إنّك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي" [3].

وعند عبدالله، قال النبي ﷺ في حديث له مع الصحابة:

"أنا فرطكم على الحوض. ليرفعن إلي رجال منكم. حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، يقول: لا

---

[1] الفتح: ١٠.

[2] بتصرف عن كتاب مع الخطيب في خطوطه العريضة للعلامة لطف الله الصافي: ص١٢٠ ـ ١٢١.

[3] صحيح البخاري ج٩ ص٥٩ كتاب الفتن باب واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.

تدري ما أحدثوا بعدك" [1].

وتأكيداً للحديثين السابقين واللذان يشيران إلى الإحداث والتبديل، فإن الرسول ﷺ يشبههم بأمم اليهود والنصارى الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه، فعن أبي سعيد الخدري أنّ النبيﷺ قال:

"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" [2].

وفي الصحابة من أخبر الله عنهم بكتابه العزيز: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً**﴾ [3]، حيث نزلت هذه الآية في الصحابة الذين تركوا الرسولﷺ وهو يخطب يوم الجمعة عندما سمعوا بقافلة قدمت من الشام، ولم يبق معه منهم سوى اثني عشر رجلاً فقط من كل تلك الآلاف من الصحابة، فعن جابر بن عبدالله قال:

---

[1] صحيح البخاري ج٩ ص٥٨ كتاب الفتن باب واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.

[2] صحيح البخاري ج٩ ص١٢٦ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب لتتبعن من كان قبلكم.

[3] الجمعة: ١١.

"أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبيﷺ ، فثار الناس إلا اثنى عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها**﴾. [1]

وفي رواية أخرى قال:

"بينما نحن نصلي مع النبيﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلاّ اثنى عشر رجلاً فنزلت هذه الآية: ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً**﴾. [2]

ونفس العدد من الصحابة، بقي مع الرسولﷺ عند فرارهم في موقعة أحد، مما حدى برسول اللهﷺ أن يتبرّأ يومئذ من فعلهم ذلك، فعن البراء بن عازب قال:

"جعل النبيﷺ على الرجالة يوم أحد عبدالله بن جبير وأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسولﷺ في أخراهم ولم يبق مع النبيﷺ غير اثنى عشر رجلاً" [3].

وعن أنس رضي الله عنه قال:

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١٨٩ كتاب التفسير.

[2] صحيح البخاري ج٢ ص١٦ كتاب الجمعة.

[3] صحيح البخاري ج٦ ص٤٨ كتاب التفسير باب قوله تعالى ـ(والرسول يدعوكم في أخراكم).

"غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون قال: اللهم إنّي اعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه" [1] .

ويوم حنين كان فرار الصحابة أدهى وأمر، حيث كانوا يعدون بالآلاف، وقد نزل القرآن الكريم يؤنبهم على فعلتهم الشنيعة هذه بقوله تعالى: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين....**﴾ [2] .

وفي الصحابة من أنزل الله تعالى في حقهم: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم**﴾ [3] ، وكان نزول هذه الآية بحق فئة من الصحابة كان من رأيهم أن يأخذوا العير وما تحمل قافلة أبوسفيان وتفضيلهم ذلك على القتال عندما استشارهم الرسولﷺ قبل موقعة بدر ليرى

---

[1] صحيح البخاري ج٤ ص٢٣ كتاب الجهاد باب قوله ـ من المؤمنين رجال صدقوا ـ

[2] التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

[3] الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨.

مدى استعدادهم ورغبتهم للقتال.

وفي الصحابة من أنّبهم الرسولﷺ لدعواتهم القبلية ونزعاتهم الجاهلية، كما يظهر مما رواه جابر بن عبدالله ﵁ قال:

"كنا في غزاة، قال سفيان مرة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول اللهﷺ فقال: ما بال دعوى جاهلية" [1].

وهذه الدعوى الجاهلية كادت أن تحدث حرباً بين قبيلتي الأوس والخزرج اللتين تشكلان مجموع الأنصار، فعن عائشة ﵂ قالت:

"....فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا، ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١٩١ كتاب التفسير باب قوله ـ سواء عليهم استغفرت لهم ـ

حتى سكتوا وسكت" [1].

وفي الصحابة من كان يبغض علياً والذي كان كُرهه علامة من علامات النفاق كما مر، فعن أبي بريدة قال:

"بعث النبيﷺ علياً إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أبغض علياً، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبيﷺ ذكرت له فقال: يا بريدة، أتبغض علياً؟ فقلت: نعم، قال: لا تبغضه، فإنّ له في الخمس أكثر من ذلك" [2].

ومن الصحابة من كان يطعن بقرارات النبيﷺ، كما ظهر ذلك في طعنهم بتأمير أسامة بن زيد على سبيل المثال، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال:

"بعث النبيﷺ بعثاً، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبيﷺ: إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل" [3].

ومن الصحابة من طردهم الرسولﷺ من مجلسه عند ما اعترضوا على أمره لهم بكتابة وصيته الأخيرة والذين بدلاً من ذلك

---

[1] صحيح البخاري ج٣ ص٢٢٩ كتاب الشهادات.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص٢٠٧ كتاب المغازي باب بعث علي وخالد رضي الله عنهما إلى اليمن.

[3] صحيح البخاري ج٥ ص٢٩ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب زيد.

وصفوه بالهذيان، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

"يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، فقلت: يا ابن عباس، ما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه، فقال: إئتوني بكتف اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له أهجر؟ استفهموه. فقال: ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه" [1].

وفي الصحابة من تنازع على الإمارة بعد وفاة الرسول ﷺ ، حتى وصل الحد ببعضهم أن يطالب تعيين أميرين واحداً للمهاجرين وآخر للأنصار، ممّا يثبت عدم تخلّيهم عن نزعاتهم القبلية الجاهلية بالرغم من إسلامهم كما مر تفصيله في باب أحداث السقيفة.

وفي الصحابة أبو هريرة ومعاوية اللذان أفردت لهما أبواباً خاصة في أماكن أخرى من هذا البحث فراجع.

ولعل مبالغة أهل السنة في رفع منزلة الصحابي مردّها إلى تشرفه بصحبة النبي ﷺ، ولكن ذلك ليس أكثر امتيازاً من التشرّف بالزواج منه، حيث قال الله تعالى بشأن نساءه: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾[2]. وكذلك

[1] صحيح البخاري ج٤ ص١٢٠ كتاب الخمس باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

[2] الأحزاب: ٣٠.

قوله تعالى بشأن تظاهر عائشة وحفصة على النبيﷺ :﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ـ إلى قوله: ـ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾[1] .

ونقصد من ذلك أنّ كثرة مصاحبة النبيﷺ لا تعني بالضرورة ارتفاع درجة إيمان المصاحبين، فبالإضافة إلى ما سبق من روايات بشأن أصحاب النبيﷺ، فقد روي عن أزواجه ما يشابه ذلك، إن لم يكن أبلى وأشد، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال:

"لبثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبيﷺ فجعلت أهابه، فنزل يوماً منزلاً فدخل الأراك، فلما خرج سألته فقال:عائشة وحفصة، ثم قال: كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهنّ بذلك علينا حقاً من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا. وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي فقلت لها: وإنّك لهناك، قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذي رسول اللهﷺ فأتيت حفصة فقلت لها: إنّي أحذرك أن تعصي الله ورسوله" [2] .

---

[1] التحريم: ٤ ـ ١٠.

[2] صحيح البخاري ج٧ ص١٩٦ كتاب اللباس.

وعن عائشة ﵂ قالت:

"كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إنّي أجد منك ريح مغافير. قال: لا، ولكنني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً"[1].

وعن عائشة ﵂ أيضاً قالت: "إنّ نساء النبي ﷺ كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسؤدة، والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ"[2].

وعن عائشة ﵂ قالت: "كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: اتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿**ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك**﴾[3]. قلت: ما أرى إلاّ ربك يسارع في هواك"[4].

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١٩٤ كتاب التفسير باب أيها النبي لم تحرم.

[2] صحيح البخاري ج٣ ص٢٠٤ كتاب الهبة باب من أهدى إلى صاحبه.

[3] سورة الاحزاب: ٥١.

[4] صحيح البخاري ج٦ ص١٤٧ كتاب التفسير باب قوله ـ ترجى ما تشاء منهن ـ

وعن عائشة ﵂ قالت: "استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان اخت خديجة فارتاع لذلك، فقال: اللهم هالة، قالت: فغِرتُ فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها" [1].

وفي قول آخر لعائشة بشأن خديجة التي تميزت على جميع نساء النبي ﷺ ، فقد صدّقت بدعوة النبي ﷺ يوم كذب به الناس، وتصدقت له بمالها يوم حرمه الناس، ورزق منها الولد، الأمر الذي يفسر غيرة عائشة الشديدة منها وخصوصاً أنّ الرسول ﷺ كان دائم الذكر لفضائلها حتى بعد موتها، وفي ذلك ما يناقض قول عائشة بالرواية السابقة من أنّ الله قد أبدله خيراً منها.

فعن عائشة ﵂ قالت: "ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها. وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول إنّها كانت وكانت وكان لي منها ولد" [2].

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٤٨ كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي خديجة وفضلها.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص٤٨ كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي خديجة وفضلها.

وما يرتكز عليه من يعتقدون عدالة جميع الصحابة هو زعمهم أنّ رسول الله ﷺ قال: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وفي رواية أخرى: "بأيهم أخذتم قوله...".

وبالرغم من أنّ أهل السنة لا يقولون صراحة بعصمة جميع الصحابة، إلاّ أنّ من يزعم صحة هذه الرواية فإنّه لابد وأن يعتقد بعصمتهم جميعاً لأنه ليس من الممكن أن يأمر الرسول ﷺ بالاقتداء مطلقاً دون أي قيد أو شرط ـ كما توحي هذه الرواية المزعومة ـ بمن يحتمل فعله لمعصيته.

وهكذا، فإن الروايات السابقة والتي تجعل عدالة الكثير من الصحابة محل نظر وتأمل إنّما هي في غالبها بشأن من طالت صحبتهم لرسول الله ﷺ ، فما بالك إذن بعدالة من سُموا بالصحابة لمجرد رؤيتهم لرسول الله ﷺ ولو للحظة واحدة؟؟ ولماذا يا ترى هذه المبالغة؟ وهل العدالة أو التقوى تكتسب لمجرد رؤية الرسول ﷺ ولو لحظة أم بالطاعة والاقتداء بما أمر به الرسول ﷺ بحسن نية وإخلاص؟؟

ولعل هذا التناقض الذي يأباه العقل السليم والفطرة البشرية يتضح بأجلى صورة بتفضيل بعض علماء المسلمين من أهل السنة كابن تيمية لمعاوية بن أبي سفيان على الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز لا لشيء إلاّ لأنّ معاوية كان صحابياً وعمر تابعياً، وذلك

بالرغم مما اشتهر به عمر بن عبدالعزيز من التقوى والعدل على عكس معاوية الذي اشتهر بإحداثه الفتنة الكبرى بين المسلمين في صفين وخروجه على أميرالمؤمنين علي عليه السلام كما مرّ سابقاً، وإضافة لما اشتهر به عمر بن عبدالعزيز بأنّه الخليفة الراشدي الخامس عند أهل السنة، وهذا بحد ذاته يدل على عدم رشد معاوية، وبالتالي عدم لزوم رشد أحد بمجرد صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن المفيد أن نتساءل في هذا المقام، أيهما أعلى درجة: من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن رأى عشرات المعجزات السماوية بأم عينيه، أم الذي آمن بالإسلام دون أن يرى أياً منها؟؟

والحقيقة أنّني لم أر تفسيراً لهذه المبالغة بدرجة تقوى الصحابة، وإشاعة فكرة عدالتهم جميعاً ما هو إلاّ لغلق الباب في وجه كل من ينتقد بعض الصحابة الذين عملوا على إبعاد الخلافة عن أصحابها الشرعيين، وهكذا فإنّ الكثيرين من أهل السنة يرفضون جميع الأدلة الدامغة على احقية أهل البيت عليهم السلام بإمامة المسلمين لا لشيء إلا الاعتقادهم بعدالة جميع الصحابة وهم لذلك يحملون أي تصرف قاموا به على الصحة.

وأما الذين عملوا على بث هذه الفكرة الخاطئة فهو لأنّهم كانوا يرون بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام خطراً يهدد عروشهم، لعلمهم ما لهؤلاء حقاً في ذلك، فكان لابد من محاولة إضفاء نوع من التعتيم

والفوضى على الأحاديث والآيات التي تظهر مكانتهم وفي نفس الوقت رفعهم لمكانة جميع الصحابة حتى لا يكون للأئمة من أهل البيت تلك الميزة التي أهلتهم ليكونوا موضع اختيار الله عزّوجلّ لإمامة أمة الإسلام بعد رحيل المصطفىﷺ .

وهكذا، فإن الحديث المزعوم والقائل بنجومية جميع الصحابة الذي مر قد اقتبست الفاظه ومعانيه من حديث الرسول ﷺ :

"النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس" [١] .

وقد كان من أهم الآثار السلبية التي تمخضت نتيجة للاعتقاد بعدالة جميع الصحابة هو وجود ذلك الكم الهائل من الروايات الغثة في كتب الحديث كالإسرائيليات والمسيحيات وغير ذلك من الخرافات مما يتخذ مطاعن على دين الإسلام، ذلك أنّ تلك الروايات قد أخذت محل القبول والتصديق لمجرد أنها رويت عن الصحابة بالرغم من كل ما يحتمل عليهم فعله كما بينا ذلك من خلال الروايات العديدة السابقة.

---

[١] مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٤٩.

الفصل الثالث

الشيعة والقرآن الكريم

يعتقد الشيعة أنّ (القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم في تبيان كل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن محاربتها في البلاغة والفصاحة وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبيﷺ ، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه وكلهم على غير هدى، فإنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[1].

ويقول شيخ المحدثين محمد بن علي القمي الملقب بالصدوق: "اعتقادنا في القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمدﷺ هو ما

[1] عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر: ص٨٥، ط القسم العربي بدار التبليغ الاسلامي قم.

بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك.... ومن نسب إلينا أنّا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب" [1].

ويؤكد ذلك ما يقوله الأستاذ البهنساوي وهو أحد مفكري الإخوان المسلمين: "...إنّ الشيعة الجعفرية الإثني عشرية يرون كفر من حرّف القرآن الذي أجمعت عليه الأمة منذ صدر الإسلام.... وإنّ المصحف الموجود بين أهل السنّة هو نفسه الموجود في مساجد وبيوت الشيعة، ويواصل قوله في مجال رده على ظهير والخطيب، فينقل رأي السيد الخوئي، وهو أحد مجتهدي الشيعة في العصر الحاضر: "المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنّ الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم ﷺ " [2].

وأما الشيخ محمد الغزالي فيقول في كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: " سمعت من هولاء من يقول في مجلس علم: إنّ للشيعة قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف. فقلت له: أين هذا القرآن؟ ولماذا لم يطلع الانس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل؟ لماذا يساق هذا الافتراء؟....فلماذا هذا

---

[1] اعتقادات الصدوق: ص٩٣.

[2] السنة المفتري عليها: ص٦٠.

الكذب على الناس وعلى الوحي؟" [1].

وأما الروايات غير الصحيحة والتي قد يستند إليها البعض والتي تقول بتحريف القرآن والموجودة في كتب الحديث عند الشيعة، فإنّها مدانة ومرفوضة يوجد مثيلها في كتب صحاح الحديث عند أهل السنة، وقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة ﵂ أنّها قالت:

"سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله لقد أذكرني آية كذاوكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا" [2].

وبالطبع فإنّه لا يمكن لأحد أن يصدق بما يعنيه الحديث أعلاه والذي يشير إلى عدم حفظ الرسول ﷺ للقرآن كاملاً أن نسيانه لبعض الآيات منه، وفيما يلي ما يشير إلى أنّ جزءاً من سورة الأحزاب لم يجدوه إلاّ مع خزيمة الأنصاري أثناء جمع القرآن، وذلك على حد ما أخرجه البخاري في صحيحه، فعن زيد بن ثابت قال:

"لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها لم أجدها مع أحد إلاّ مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين

---

[1] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.

[2] صحيح البخاري ج٦ ص٢٣٩ كتاب فضل القرآن باب نسيان القرآن.

من المؤمنين ـ ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ [1] ـ" [2].

وفي رواية أخرى عن زيد بن ثابت قال:

".... فقمت فتتبَّعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره" [3] فأين هذه الرواية من الحقيقة القائلة بنقل القرآن بالتواتر؟؟

ومن ضمن الروايات الكثيرة التي أخرجها البخاري وغيره من رجال الحديث من أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، والتي تقول صراحة بتحريف القرآن الكريم ما يروى عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالسند عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال:

"خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر. فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد، فإنّي قائل لكم مقالة قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين

---

[1] الأحزاب: ٢٣.

[2] صحيح البخاري ج٦ ص١٤٦ كتاب التفسير باب فمنهم من قضى نحبه.

[3] صحيح البخاري ج٦ ص٩٠ كتاب التفسير باب لقد جاءكم رسول من أنفسكم.

يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ.

إنّ الله بعث محمداًﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول اللهﷺ ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: "والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف" [1].

والرواية التالية التي أخرجها البخاري أيضاً تبين أنّ عمر بن الخطاب كان يود أن يضيف تلك الآية التي أسقطت (على حد زعمه) بنفسه، ولكنه كان يخشى كلام الناس:

"قال عمر: لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي وأقر ماعز عند النبيﷺ بالزنا أربعاً فأمر برجمه" [2].

وأما الآية المزعومة فهي: "والشيخ والشيخة إذا زنيا

[1] صحيح البخاري ج٨ ص٢٠٩ ـ ٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

[2] صحيح البخاري ج٩ ص٨٦ كتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم.

فارجموهما البتة" [1] كما روى ذلك ابن ماجة في صحيحه:

وبما أنّ القرآن الذي بين أيدينا نعتقد جزماً بعدم تعرضه لأي نقصان أو زيادة، فإنّه لابد وأن يكون الخليفة عمر ﷺ قد التبس عليه الأمر، وقد يكون مصدر هذا الالتباس وجود آية الرجم فعلاً، ولكن في توراة أهل الكتاب وليس القرآن الكريم كما يظهر من رواية ابن عمر الذي قال:

"...أتى النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا، فقال لليهود: ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسخّم وجوههما ونخزيهما، قال: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فجاءوا فقالوا لرجل ممن يرضون أعور ـ اقرأ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه، قال: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تلوح، فقال: يا محمد، إنّ عليهما الرجم ولكننا نتكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما" [2].

وما يقوي احتمال وقوع التباس الخليفة عمر ﷺ بين كتاب الله الحكيم وتوراة أهل الكتاب ما ذكره الجزائري في كتابه: "هذه نصيحتي إلي كل شيعي" وهذا نصه: (... وكيف تجوز قراءة تلك

---

[1] سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٥٤ ح٢٥٥٣.

[2] صحيح البخاري ج٩ ص١٩٣ كتاب التوحيد باب ما يجوز من تفسير التوراة.

الكتب المنسوخة المحرّفة والرسول ﷺ يري عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي يده ورقة من التوراة فينتهره قائلاً: ألم آتيكم بها بيضاء نقية؟! إذا كان الرسول ﷺ لم يرض لعمر مجرد النظر في تلك الورقة من التوراة...) [1].

ويروى عن الخليفة عمر أيضاً قوله:

"ثم إنّا كنّا نقرأ من كتاب الله ـ أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ـ أو إنّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم" [2].

ولا يخفى على أحد أن هذه الآية كسابقتها ليس لها وجود في كتاب الله.

وأما عبدالله بن مسعود، فقد روي عنه أنّه كان يضيف كلمتي "الذكر والأنثى" على الآية الكريمة ـ ﴿**والليل إذا يخشى**﴾ ـ فعن علقمة قال:

"....كيف يقرأ عبدالله ـ والليل إذا يخشى ـ فقرأت عليه ـ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ـ قال: والله لقد أقرأنيها

---

[1] هذه نصيحتي إلى كل شيعي لأبي بكر الجزائري.

[2] صحيح البخاري ج٨ ص٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الكفر باب رجم الحبلى من الزنا.

رسولﷺ من فيه إلى في" [1] .

وهكذا يوقعنا البخاري الذي أخرج هذه الرواية في صحيحه في تناقض جديد، ذلك إنّه يروي أيضاً أمر الرسولﷺ للمسلمين باستقراء القرآن من عبدالله بن مسعود. فبالروايد عن ابن عمر قال: بأنّ الرسولﷺ كان يقول:

"استقرئوا القرآن عن أربعة: عن عبدالله بن مسعود فبدأ به" أو قال: "استقرئوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل" [2] .

فكيف يأمرنا الرسولﷺ باستقراء القرآن ممن لا يحسن حفظه؟

نترك الإجابة على هذا السؤال بالطبع للبخاري ومن سار على منهجه باعتقاد صحة كل ما رُوي في صحيحه.

وأما صحيح مسلم، فقد وجد فيه مثل ذلك أيضاً، فعن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت:

---

[1] صحيح البخاري ج٥ ص٣١ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمار وحذيفة.

[2] صحيح البخاري ج٥ ص٣٤ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عبدالله بن مسعود.

"كان فيما أنزل من القرآن ـ عشر رضعات معلومات ـ فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن" [1]، وزعم عائشة هذا مما فيه رد صريح على من يقول بأنّ أمثال هذه الروايات هو مما نسخ، وإلاّ فما معنى زعمها استمرار قراءتها بالرغم من وفاة النبي ﷺ؟؟

وعن أبي الأسود عن أبيه قال:

"إنّ أبا موسى الأشعري بعث إلى قرّاء البصرة وكانوا ثلاثمائة رجل، فقال فيما قال لهم: وإنّا كنّا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، غير أنّي حفظت منها ـ لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ـ" [2].

وفي كتاب (الاتقان في علوم القرآن) للسيوطي، يذكر بعض الروايات بأنّ القرآن ١١٢ سورة فقط أو بإضافة سورتي الحقد والخلع [3]....! وغير ذلك من أمثال تلك الروايات والتي نكتفي بالقدر

---

[1] صحيح مسلم ج٢ ص١٠٧٥ ح٢٤، كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات.

[2] صحيح مسلم كتاب الزكاة ج٢ ص٧٢٦ ح١١٩. باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً.

[3] الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ص٦٥.

الذي أوردناه منها.

وبعد، فهل يجوز أن يقول الشيعي أنّ قرآن أهل السنة ناقص أو زائد لوجود روايات تقول بذلك في كتب الحديث عندهم؟ بالتأكيد لا، لأنّ إجماع أهل السنة هو القول بعدم تحريف القرآن. وأمّا مسألة وجود هذه الروايات القائلة بالتحريف في كتب صحاح الحديث عندهم ـ لا سيما البخاري ومسلم منها والتي ألزم أهل السنة أنفسهم بأنّ جميع ما روي فيها يعتبر صحيحاً على رأيهم ـ فإن تفسير ذلك يكون بأحد أمرين لا ثالث لهما: فإما أنّ تلك الروايات صحيحة ولكن فيها من الالتباس الذي حصل لرواتها كما هو الحال بشأن آية الرجم. وإمّا أن تكون تلك الروايات غير صحيحة كما هو الحال بالنسبة لباقي الروايات التي ذكرناها، وبذلك فإنّه لابد من إعادة النظر في تسمية كتابي البخاري ومسلم (بالصحيحين).

فبماذا نفسر إذن تلك الحملة المسعورة التي يقوم بها بعض الكتاب أمثال ظهير والخطيب وغيرهم بإتهام الشيعة بتحريف القرآن لمجرد وجود روايات ضعيفة في كتب الحديث عندهم تقول بذلك هي مرفوضة عندهم، ويوجد ما يشابهها الكثير من الروايات التي أخرجها رجال الحديث من أهل السنة في صحاحهم. فمن كان بيته من زجاج لا يرمي بيوت الآخرين بالحجارة!

الفصل الرابع

الشيعة والسنّة النبوية المطهّرة

موقف الفريقين من السنّة النبوية:

إنّ مما يفترى به على الشيعة من قبل بعض الحمقى بأنهم ينكرون سنة المصطفىﷺ ، وهذا هراء ما بعده هراء، وننقل آراء بعض علماء أهل السنة حول موقف الشيعة من السنة النبوية المطهرة.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "الإمام الصادق": "السنة المتواترة حجة عندهم بلا خلاف في حجيتها، والتواتر عندهم يوجب العلم القطعي.... إنّ إنكار حجية السنّة النبوية المأثورة بالتواتر عن الرسول ﷺ كفر لأنه إنكار للرسالة المحمدية، أما إنكار حجية أقوال الأئمة فإنّها دون ذلك تعد فسقاً ولا تعد كفراً" [١] .

ويقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه ـ دفاع عن العقيدة

---

[١] "الإمام الصادق" لأبى زهرة.

والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ـ "...ومن هؤلاء الأفّاكين، من روّج أنّ الشيعة اتباع علي، وأنّ السنيين أتباع محمد، وأنّ الشيعة يرون أنّ علياً أحق بالرسالة أو أنّها أخطأته إلى غيره، وهذا لغو قبيح وتزوير شائن" ثم يقول: "إنّ الشيعة يؤمنون برسالة محمد ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرسول وفي استمساكه بسنته، وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين...فكيف ينسب لهم هذا الهذر" [1].

ولا يوجد أي اختلاف بين أهل السنة والشيعة حول مكانة السنة النبوية المطهرة ووجوب الأخذ بها، ولكنهم اختلفوا حول طريقة نقل هذه السنة إلى الأجيال اللاحقة لجيل النبيﷺ ، أو طريقة التثبت منها. فيكفي عند أهل السنة إيصال اسناد الحديث بنقل الثقة عن الثقة إلى أي من الصحابة الذين يعتقدون بعدالتهم جميعاً، وعندهم صحيحا البخاري ومسلم لا يشك قطعاً بصحة أحاديثهما حتى أصبحا وكأنّهما بنفس مرتبة القرآن الكريم من حيث الصحة، وإلاّ فما معنى إلزام الغالبية العظمى من أهل السنة لأنفسهم بقبول كل ما احتواه هذان الصحيحان؟ وتأكيداً لذلك، ننقل رأي الشيخ أبو عمرو بن الصلاح من مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم: "جميع ما حكم مسلم رحمه الله بصحته في هذا الكتاب ـ صحيح مسلم ـ فهو

[1] "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين" للغزالي.

مقطوع بصحته، وهكذا ما حكم البخاري بصحته في كتابه، وذلك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه في الإجماع ـ ثم أضاف ـ: "...ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطيء،والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ" [1].

وأما الشيعة فإنّهم يشترطون أولاً إيصال أسناد الحديث إلى أي من أئمة أهل البيت عليهم السلام محتجين بقول الرسولﷺ: "إني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي" [2].

وبقوله تعالى: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا**﴾ [3]، وأما الشروط الأخرى فأهمها عرض الرواية على كتاب الله ثم النظر في متنها وسندها ومقارنتها بروايات أخرى ثبتت بالتواتر القطعي، وأخيراً عرضها على العقل، وأي رواية ينقصها أي من هذه الشروط، فإنّ الأخذ بها يكون محل نظر وتأمل.

وكتب الحديث الرئيسية عند الشيعة أربعة هي: (الكافي، من لا يحضره الفقيه، الاستبصار، التهذيب)، وجميع الروايات في هذه الكتب خاضعة للتحقيق، ففيها الغث والسمين، ولا يرون صحة جميع

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١٩.

[2] صحيح الترمذي ج٥ ص٦٦٢ ـ ٦٦٣، باب مناقب أهل البيت النبيﷺ دار الكتاب العربي.

[3] الأحزاب: ٣٣.

الروايات المخرجة في هذه الكتب، حيث أنّه لا يوجد عند الشيعة كتاب يوضع قبال كتاب الله في الصحة، كما هو الحال عند الشيخين البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ففي كتاب ـ مصادر الحديث عند الشيعة الإمامية ـ للعلامة المحقق السيد محمد حسين الجلالي، تقسيم لأحاديث الكافي حيث يقول: "مجموع الأحاديث التي فيه ١٦١٢١ حديثاً، منها ٩٤٨٥ حديثاً ضعيفاً، و١١٤ حديث حسن و١١١٨ حديث موثق و٣٠٢ حديث قوي و٥٧٠٢ حديث صحيح" وهذا يظهر بوضوح كيف ضعّف علماء الشيعة آلاف الأحاديث في الكافي. فأين هذه الحقيقة من تشدق بعض الأفّاكين مثل ظهير والخطيب القائلين بأن كتاب الكافي عند الشيعة هو كصحيح البخاري عند أهل السنة، ثم يدعون أن اسمه "صحيح الكافي"، وهذا كذب صارخ يكررروه في كتبهم المسمومة بهدف تضليل القارىء بإضفاء صفة الصحة على روايات ضعيفة اقتبسوها من الكافي أو غيره من كتب الحديث عند الشيعة لإقامة الحجة عليهم وإدانتهم بها.

موقف الفريقين من عصمة النبيﷺ :

في الوقت الذي يثير فيه بعض المغرضين والأفّاكين إشاعات كاذبة بتفضيل الشيعة لأئمتهم على شخص الرسولﷺ ، وكما هو

سائد في مفهوم الكثير من أهل السنة، فإنني وجدت من خلال بحثي أنّ الشيعة يقدّسون النبيﷺ بدرجة تفوق بكثير مكانته بنظر أهل السنة.

فالشيعة يقدّسون سنة النبيﷺ ويرون كفر من ينكر حكماً أمر به النبي ﷺ بأنّه أفضل الأولين والآخرين، فهم يرون ضرورة التمسك بالأئمة الإثني عشر من أهل البيتعليهم السلام بوصفهم أوثق الطرق نقلاً لسنة النبيﷺ ، وهم يدرأون عن كل ما أحيط بمسألة عصمة النبيﷺ من شبهات وأقاويل، فهو بنظرهم معصوم في أمور الدين والدنيا وقبل النبوة وبعدها.

وأمّا أهل السنة فإنّهم أيضاً يفضلون شخص النبيﷺ على الأولين والآخرين، إلاّ أنّهم يرون أنّ عصمته محدودة بالأمور الدينية فقط، والتي هي بنظرهم الأمور المتعلقة بتبليغ الرسالة ليس إلاّ، وما دون ذلك فهو كغيره من البشر يخطىء ويصيب.

وقبل أن نفنّد هذا القول، نعرض للقارىء صوراً مما يعتقده أهل السنة بشأن عصمة النبيﷺ لنرى بصورة جلية حقيقة موقفهم بهذا الشأن، ومن خلال ما يعتبرونه أصح الكتب بعد كتاب الله. فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"...حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال له النبيﷺ: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني حتى

بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ (... ثلاثاً) فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة، مالي؟ ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي. وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاءالله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبيﷺ ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول اللهﷺ : أو مخرجي هم؟...." [1].

فهل يعقل أنّ الرسولﷺ لم يكن يعلم بأنّ ما أنزل عليه كان النبوة وأنّ ورقة بن نوفل ـ النصراني ـ هو الذي أعلمه بذلك؟؟ وتستمر عائشة رضي الله عنها بروايتها هذه بما هو أغرب من ذلك، وبما تقشعر له الأبدان:

"... ثم لم ينشب ورقة حتى توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبيﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردي من رؤوس

---

[1] صحيح البخاري ج٩ ص٣٨ كتاب التعبير باب أول ما بدى به رسول اللهﷺ .

شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدّى له جبريل فقال: يا محمد، إنّك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك" [1].

وهل يمكن لمسلم أن يصدق بأن الرسولﷺ لم يكن يحفظ القرآن بكامله؟ فانظر إذن لما أخرجه البخاري بالإسناد إلى عائشة رضي الله عنها قالت:

"سمع النبيﷺ رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها في سورة كذا وكذا [2].

وأما بالنسبة لما يزعمونه من جواز سهو النبيﷺ، فقد روي بالإسناد إلى جابر بن عبدالله أنّه قال:

"إنّ النبيﷺ جاءه عمر بن الخطاب يوم الخندق فقال: يا رسول الله، والله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس تغرب وذلك بعدما أفطر الصائم، فقال النبيﷺ، والله ما صليتها، فنزل النبيﷺ إلى بطحان وأنا معه فتوضأ ثم صلى العصر بعدما غربت

---

[1] صحيح البخاري ج٩ ص٣٨ كتاب التعبير باب أول ما بدى به رسول اللهﷺ .

[2] صحيح البخاري ج٨ ص٩١ كتاب الدعوات باب قوله تعالى "وصل عليهم".

الشمس، ثم صلى بعدها المغرب" [1].

وعن أبي هريرة قال:

"أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسول الله ﷺ فلما قام في مصلاه ذكر أنّه جنب، فقال لنا: مكانكم، ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبّر فصلينا معه" [2].

وعن أبي هريرة أيضاً:

"فصلى بنا النبي ﷺ الظهر ركعتين ثم سلم، ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد، ووضع يده عليها وفي القوم يومئذ أبوبكر وعمر فهابا أن يكلماه، وخرج سرعان الناس، فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم رجل كان النبي ﷺ يدعوه ذا اليدين، فقال: يا نبي الله، انسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر، قالوا: بل نسيت يا رسول الله، قال: صدق ذو اليدين" [3].

ويصل الأمر ـ على حد زعمهم ـ إلى أن يتمكن أحد اليهود من أن يسحر النبي ﷺ فيتهيأ للنبي ﷺ أنّه فعل الشيء وما فعله،

---

[1] صحيح البخاري ج١ ص١٦٥ كتاب الأذان باب قول الرجل للنبي ـ ما صلينا ـ

[2] صحيح البخاري ج١ ص٧٧ كتاب الغسل باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب.

[3] صحيح البخاري ج٨ ص٢٠ كتاب الأدب باب ما يجوز من ذكر الناس.

وسؤاله لعائشة عن نزول الوحي عليه أم لم ينزل، وهل أتى أهله أم لم يأتي؟

فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"مكث النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا يخيل إليه أنّه يأتي أهله ولا يأتي، فقال لي ذات يوم: يا عائشة إن الله تعالى أفتاني في أمر استفتيته فيه: أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجلي، والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال:مطبوب، يعني مسحوراً. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم" [1].

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً أنّها قالت:

"سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنّه يخيل إليه أنّه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: أشعرت يا عائشة أنّ الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟" [2].

وقد رفض الشيخ محمد عبده هذه الروايات التي تقول بوقوع الرسول صلى الله عليه وسلم تحت تأثير السحر لأنها تتعارض مع قوله تعالى: ﴿ **وقال الظالمون إن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً** ﴾ [3].

---

[1] صحيح البخاري ج٨ ص٢٢ ـ ٢٣ كتاب الأدب باب إن الله يأمر بالعدل والاحسان.

[2] صحيح البخاري ج٧ ص١٧٦ كتاب الطب باب السحر.

[3] الفرقان: ٨.

وأما عن تحكم الرسولﷺ بشهواته، فقد أخرج البخاري في صحيحه بالرواية عن أبي هشام قال:

"إنّ رسول اللهﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نساءه ويقول: أين أنا غداً؟ حرصاً على بيت عائشة. قالت عائشة:فلما كان يومي سكن" [١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"كان رسول اللهﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول اللهﷺ" [٢].

ومما يفهم أيضاً من الروايتين أعلاه، أنّ الرسولﷺ كان يقسم لكل من نسائه يومها وليلتها، إلاّ أنّ الرواية التالية تتعارض معهما. فعن أنس بن مالك قال:

" كان النبي ﷺ يدور على نساءه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة، قال: قلت لأنس أو كان يطيقه؟

---

[١] صحيح البخاري ج٥ ص٣٧ كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة.

[٢] صحيح البخاري ج٣ ص٢٠٨ كتاب الهبة باب هبة المرأة لغير زوجها.

قال: كنا نتحدث أنّه أعطي قوة ثلاثين" [1] .

ويقول كذلك أهل السنة أنّ الآيات الكريمة: ﴿ **عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعلّه يزكّى * أو يذّكّر فتنفعه الذكرى....** ﴾ [2] قد نزلت عتاباً للرسولﷺ لعبوسه بوجه عبدالله ابن مكتوم والذي كان ضريراً، وأنّ سبب إعراض الرسولﷺ عنه حسب ما يرويه أهل السنة هو انشغاله بالحديث مع عتبة بن ربيعة، وأبي جهل بن هشام، والعباس بن عبدالمطلب، وأُبي، وأمية بن خلف، يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم، وقد طلب ابن مكتوم من الرسول حينها أن يقرؤه ويعلمه مما علمه الله حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول اللهﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنّما أتباعه من العميان والعبيد، فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم.

والشيعة يرفضون ذلك ويقولون إنّ هذه الآيات نزلت بحق رجل من بني أمية أعرض عن ذلك الأعمى وليس الرسولﷺ. وقد ذكر العلامة محمد حسين الطباطبائي في تفسيره "الميزان":

"... وليست الآيات ظاهرة الدلالة على أنّ المراد بها هو

---

[1] صحيح البخاري ج١ ص٧٦ كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد.

[2] عبس: ١ ـ ٤.

النبيﷺ بل خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، بل فيها ما يدل على أن المعني بها غيره لأن العبوس ليست من صفات النبيﷺمع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة.... وقد عظم الله خلقهﷺ إذ قال ـ وهو قبل نزول هذه السورة ـ: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم**﴾، فكيف يعقل أن يعظم الله خلقه أول بعثته ويطلق القول في ذلك ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية ويذمه بمثل التصدي للأغنياء وإن كفروا والتلهي عن الفقراء وان آمنوا واسترشدوا" [1].

واعتماداً على الروايات السابقة وأمثالها أخذ أهل السنة اعتقادهم بعدم اشتمال عصمة النبيﷺ إلاّ للأمور الدينية والتبليغية فقط، ولكن الله تعالى أمر بالاقتداء برسولهﷺ مطلقاً وبدون أي قيد أو شرط، فقوله تعالى: ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيّ يوحى**﴾ [2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [3]. يدل على عدم تقييد عصمته بل إطلاقها، وإذا

---

[1] تفسير الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ج ٢٠ ص ٢٠٣ الطبعة الثانية ١٩٧٤ م .

[2] النجم ٣ – ٤ .

[3] الحشر : ٧ .

جاز أن يخطىء النبيﷺ فإنّ الله يكون قد أمرنا بخطأ، وهذا ما نستعيذ بالله أن نقول بمثله.

وإنّ تسرّب الروايات التي تمس بعصمة النبيﷺ بالإضافة إلى أنّها من وضع الوضاعين حتى تتخذ مطاعن على دين الاسلام، فإنّه يحتمل أيضاً أسباب أخرى لوضعها منها ما يصلح ليكون مؤيداً لموقف بعض الصحابة عندما قالوا في الرسولﷺ أنه يهجر ـ وهو في مرضه الأخير ـ عندما طلب منهم أن يأتوه بكتاب يكتبه لهم حتى لا يضلوا بعده، فلا غرابة بعد ذلك من وجود بعض الروايات والتي تجعل من أحد الصحابة يصيب في مسائل أخطأ فيها النبيﷺ وذلك على حد زعم مروّجي مثل هذه الروايات. ومنها ما نسب بشأن نزول آية الحجاب بعد تنبيه عمر بن الخطاب لرسول اللهﷺ بضرورة تحجب نسائه فعن أنس قال:

"قال عمر رضي الله عنه : قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ـ وفي رواية أخرى، قال عمر للرسول: احجب نساءك، قالت: فلم يفعل ـ فأنزل الله آية الحجاب"[1].

وأيضاً ما نسبه أهل السنة بشأن آية النهي عن الصلاة على

---

[1] صحيح البخاري ج٦ ص١٤٨ كتاب التفسير، و ج٨ ص٦٦ كتاب الاستئذان.

المنافقين بأنها نزلت مؤيدة لموقف عمر بعد أن أصرّ الرسولﷺ على الصلاة على ابن أبيّ المنافق، فيروى عن عبدالله بن عمر أنّه قال:

"لما توفي عبدالله بن أبيّ جاء ابنه إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله أعطني قميصك اكفنه فيه وصل عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه وقال له: إذا فرغت منه فآذنّا، فلما فرغ آذنه به فجاء ليصلي عليه فجذبه عمر فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾ ـ فنزلت ـ ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره**﴾. فترك الصلاة عليهم" [1].

وفي رواية أخرى عن عمر نفسه قال:

"... فعجبت بعد من جرأتي على رسول اللهﷺ) " [2].

والحقيقة في تلك الحادثة أنّ الرسولﷺ قد خير بالصلاة على المنافقين والاستغفار بقوله تعالى: ﴿ **استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾ [3] وقد اختار الرسول ﷺ الصلاة على ذلك المنافق لما في ذلك من فائدة عظيمة

---

[1] صحيح البخاري ج٧ ص١٨٥ كتاب اللباس باب لبس القميص.

[2] صحيح البخاري ج٢ ص١٢١ كتاب الجنائز.

[3] التوبة: ٨٠.

ومصلحة متوخاة واستئلافاً لقومه الخزرج، وقد أسلم بذلك منهم ألف رجل، وقد كانت صلاته ﷺ على ذلك المنافق قبل نزول النهي عن ذلك، فآية ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر....** ﴾ لا تدل على النهي الذي فهمه عمر واعترض على الرسول ﷺ وخطأه بسببه، ونزول آية النهي عن الصلاة على المنافقين لا تدل أبداً على خطأ الرسول ﷺ في صلاته على عبدالله بن أبي والعياذ بالله، فهي تكون خطأ لو فعلها بعد نزول آية النهي وليس قبل. ولا يستفاد من هذه الحادثة سوى خطأ عمر وشدة اعتراضه على الرسول ﷺ، وكما اعترف عمر نفسه بذلك، حيث يروى عنه أنّه قال: "أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط، أراد رسول الله ﷺ أن يصلي....الخ" [1].

ومثل ذلك ما يُروى أخذ الفداء من الأسرى يوم بدر، وأنّ الآية ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ [2] نزلت ـ على حسب رأي أهل السنة ـ عتاباً للرسول ﷺ بسبب أخذه الفداء من أسرى بدر وعدم قتله لهم، في نفس الوقت الذي كان فيه عمر بن الخطاب يريد قتلهم جميعاً، فنزلت الآية مؤيدة لرأي عمر، ورووا ما يؤيد رأيهم

---

[1] كنز العمال ج ٢ ص ٤١٩ ح ٤٣٩٣.

[2] الأنفال ٦٧ ، ٦٨.

قولاً وضعوه من عندهم، ونسبوه إلى الرسولﷺ بشأن معنى الآية السابقة الذي يتضمن تهديداً بالعذاب الشديد ولكن لمن ذلك التهديد؟ فيروي أهل السنة أن الرسولﷺ كان يبكي مع أبي بكر حيث قال: "إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل عذاب ما أفلت منه إلاّ ابن الخطاب" [1].

وحقيقة هذه الحادثة: أنّ الآية السابقة قد نزلت قبل معركة بدر وتنديداً بالصحابة الذين فضلوا العير وما تحمله قافلة أبو سفيان على القتال، وذلك عندما استشارهم الرسولﷺ ليرى مدى استعدادهم ورغبتهم لقتال المشركين، فالنهي في الآية ليس في مطلق أخذ النبيﷺ للأسرى وإنما النهي عن أخذ الأسرى دون قتال المشركين كما كان يريد بعض الصحابة عندما استشارهم الرسولﷺ بأخذ القافلة منهم أو قتالهم. وكيف يعقل أن تكون هذه الآية التي تهدد الذين لا يريدون إثخاناً في الأرض (أي القتال) قد نزلت تنديداً بالرسولﷺ وقد أثخن في المشركين وقتلهم شر قتلة! وقد قتل في تلك الموقعة سبعين من صناديد قريش.

أبو هريرة وكثرة روايته للحديث:

نظراً لكثرة ما رواه أبو هريرة من أحاديث، فقد ارتأيت إلقاء

---

[1] الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ١٠٨ .

بعض الضوء على شخصيته، حيث أجمع رجال الحديث على أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة حديثاً عن رسول اللهﷺ، على حين أنّه لم يصاحب النبيﷺ إلاّ عاماً وتسعة أشهر ـ أو ثلاثة أعوام حسب بعض الروايات ـ وقد احتوت صحاح أهل السنة على ٥٣٧٤ حديثاً روى منها البخاري ٤٤٦ حديثاً.

أمّا أبو هريرة نفسه فيقول: "ما من أصحاب النبيﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلاّ ما كان من عبدالله بن عمر، فإنّه كان يكتب ولا أكتب" [١]، وكل ما رواه ابن عمر ٧٢٢ حديثاً، لم يخرج منها يخرج منها البخاري سوى سبعة أحاديث، ومسلم ٢٠ حديثاً.

وأما سبب كثرة مصاحبة أبي هريرة للرسولﷺ، فقد أجاب هو نفسه عن ذلك عندما قال:

"يقولون أنّ أبا هريرة يكثر والله الموعد، ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإنّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإنّ اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءاً مسكيناً ألزم رسول اللهﷺ على ملء بطني. فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون" [٢].

---

[١] صحيح البخاري ج ١ ص ٣٩ كتاب العلم.

[٢] صحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٣ كتاب المزارعة باب ما جاء في الغرس.

"إنّ الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة، وإنّي كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني حتى لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة. وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع وإن كنت لاستقرىء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى أن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها" [1].

وقد عبر أبو هريرة عن تقديره لتصدق جعفر بن أبي طاب عليه بالطعام بأنه قال فيه: " ما احتذى بالنعال ولا ركب المطايا، ولا وطىء التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب [2]". فما هو المعيار الذي اعتبره أبو هريرة بتفضيله جعفر بن أبي طالب على جميع الصحابة؟

وقد روى مسلم في صحيحه أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب أبا هريرة لما سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ : ـ من قال لا إله إلا الله

---

[1] صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب جعفر بن أبي طالب .

[2] أخرجه الترمذي ج ٥ ص ٦٥٤ ح ٣٧٦٤ ، و الحاكم بإسناد صحيح ج٣ ص ٢٠٩.

دخل الجنة [1] ـ، وروى ابن عبدالبر عن أبي هريرة نفسه قال: لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة [2].

وقال الفقيه المحدث رشيد رضا: "لو طال عُمُر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة" [3]، وقال مصطفى صادق الرافعي: ".... فكان بذلك ـ يعني أبو هريرة ـ أول راوية اتهم في الإسلام " [4].

وعند حدوث معركة صفين، فقد كان تشيع أبو هريرة لمعاوية، وقد كوفىء على حسن روايته للحديث ومناصرته لهم بأن أغدقوا عليه، فكان مروان بن الحكم ينيبه عنه في ولاية المدينة، فتحولت أحواله من حال إلى حال، وقد روي عن أيوب بن محمد أنه قال:

"كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فتمخط فقال: بخ بخ، أبو هريرة يتمخط في الكتان؟ لقد رأيتني وإنّي لآخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً علي، فيجيء

---

[1] صحيح مسلم ج ١ ص ٥٩ – ٦٠ ح ٥٢ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

[2] فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٤١ ط السادسة .

[3] مجلة المنارج ١٠ ص ٨٥١.

[4] تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٧٥ .

الجائي فيضع رجله على عنقي ويُرى أنّي مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلاّ الجوع" [1].

وما يرتبط بتشيعه لبني أمية كتمانه لبعض حديث رسول الله ﷺ، لأن روايته لها ستعرض حياته للموت، فعن أبي هريرة نفسه قال:

"حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم" [2].

وأين هذا من قول أبي هريرة نفسه:

"إنّ الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو ـ ﴿**إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم**﴾ [3]. [4]

ومن خلال هذه الأدلة الدامغة تتبين حقيقة أبي هريرة وأمانته

---

[1] صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٧٥ كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب ما ذكر النبي على التفاق أهل العلم .

[2] صحيح البخاري ج ١ ص ٤١ كتاب العلم باب حفظ العلم .

[3] سورة البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠ .

[4] صحيح الخاري ج ١ ص ٤٠ كتاب العلم باب حفظ العلم .

في رواية الحديث، والتي تجعل منه شبيهاً بوعاظ السلاطين في زماننا، ويتضح سبب إعراض الشيعة عن رواياته، وبما يصلح أن يكون رداً على مغالاة أهل السنة بقبول أحاديث أبي هريرة، وطعنهم في كل من يوجه إليه النقد.

ففي اختصار علوم الحديث، قال ابن حنبل وأبوبكر الحميدي وأبوبكر الصيرفي: "لا نقبل رواية من كذب في أحاديث رسول الله وان تاب عن الكذب بعد ذلك" [1]، وقال السمعاني: "من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه" [2].

ونعرض فيما يلي بعضاً من روايات أبي هريرة والتي أخرجها البخاري في صحيحه، نبدأ بزعم أبي هريرة بأنّ موسى عليه السلام قد فقأ عين ملك الموت!

فعن أبي هريرة قال: "أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية

---

[1] اختصار علوم الحديث ص ١١١.

[2] التقريب للنووي ص ١٤.

بحجر" [1].

وعن أبي هريرة قال: "يقال لجهنم هل امتلأت، وتقول هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط " [2].

وعن أبي هريرة قال: "قال رسول الله ﷺ : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟" [3].

والرواية الأخيرة تتناقض مع ما يعتقده أهل السنة من استقرار الله جل وعلا على العرش، فنزوله إلى السماء الدنيا في آخر الليل ـ كما يزعم أبو هريرة ـ يعني بقائه فيها طوال ألـ ٢٤ ساعة من الليل والنهار لدوام وجود وقت آخر الليل على الأرض ولكن في بقع مختلفة نظراً لكروية الأرض! ترى لو كان أبو هريرة يعلم بكروية الأرض، فهل كان ليروي مثل هذه الروايات؟

وعن أبي هريرة أيضاً قال: "قال النبي ﷺ : كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل

---

[1] صحيح البخاري ج ٢ ص ١١٧ كتاب الجنائز .

[2] صحيح البخاري ج ٦ ص ١٧٣ كتاب التفسير باب قوله و هل من مزيد

[3] صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٦ كتاب التهجد .

وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ أنّه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبة، فخرج موسى في أثره يقول: ثوبى يا حجر، ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس: وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً. فقال أبو هريرة: والله إنّه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر" [1] .

وعن أبي هريرة أيضاً: "إن رسول اللهﷺ قال: إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء، أقبل حتى إذا ثوِّب بالصلاة ادبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، وكذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى" [2] .

وعن أبي هريرة أيضاً قال: "قال النبيﷺ : بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا. خلقت للحراثة، قال: آمنت به وأبوبكر وعمر. وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي، فقال الذئب: من لها يوم السبع؟ يوم لا راعي لها غيري؟ قال: آمنت به أنا وأبوبكر وعمر. قال أبو سلمة: وما هما يومئذ في

[1] صحيح البخاري ج ١ ص ٧٨ كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً وحده في خلوة .

[2] صحيح البخاري ج ١ ص ١٥٨ كتاب الأذان باب فضل التأذين .

القوم" [1] .

والحقيقة أنّ الأحاديث السابقة من الإسرائيليات التي أكثر أبو هريرة من روايتها، وذلك يرجع لكثرة ملازمته لكعب الأحبار اليهودي الذي تظاهر باعتناقه الإسلام.

وعن دخول الجنة، فقد رُوي عن أبي هريرة قوله: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، قال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال رسول الله ﷺ : سبقك عكاشة" [2] .

وعن أبي هريرة أيضاً قال: "بينما نحن عند النبي ﷺ إذ قال: بينما أنا نائم، رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله" [3] .

---

[1] صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٦ كتاب المزارعة باب استعمال البقر للحراثة .

[2] صحيح البخاري ج ٧ ص ١٨٩ كتاب اللباس باب البرود و الحبر و الشملة .

[3] صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٢ كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة .

ونختتم روايات أبي هريرة ببعض الفتاوى، التي رُويت عنه منسوبة إلى رسول الله ﷺ أنّه قال: "لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له حذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح"[1]، وأما الفتوى الأخرى عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، لينعلهما جميعاً، أو ليحفهما جميعاً"[2].

وقفة مع البخاري في صحيحه:

لقد أصبح من الضروري إلقاء ولو نظرة سريعة على صحيح البخاري بوصفه أصح كتب الحديث عند أهل السنة الذين يعتقدون بصحة جميع ما روي فيه من جهة، وبوصفه الحاوي للكثير من روايات أبي هريرة وذلك الكم الهائل من الروايات التي تطعن بعصمة النبي ﷺ وغيرها من جهة أخرى.

فقد أخرج البخاري أحاديثه (الصحيحة برأيه) من ٦٠٠ ألف حديث، وكما روي عنه إذ قال: "لم أخرج في هذا الكتاب إلاّ صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر"[3].

---

[1] صحيح البخاري ج٩ ص٨ كتاب الديات باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان.

[2] صحيح البخاري ج٧ ص١٩٩ كتاب اللباس باب لا يمشي في نعل واحدة.

[3] ابن حجر في مقدمة شرح الباري على صحيح البخاري ص٥.

ومأخـذنا الأول علـى الـشيخ البخـاري هـو اعتمـاده علـى عدالـة سلسلة رواة الحديث كشرطه الوحيد لإثبات صحة الحديث المروي وبدون النظر إلى متنه وما احتواه من معنى الأمر الـذي يفـسر وجـود الاضطراب والفساد والتناقض في كثير من الروايـات التـي أخرجهـا. فحتى لـو كـان الـراوي عـدلاً، فـإنّ ذلـك لا يمنـع نـسيانه جـزءاً مـن الحديث الذي سمعه فضلاً عن احتمالية روايته للحـديث بـالمعنى لا بعين اللفظ الذي سمعه الأمر الذي يفقد الحـديث جـزءاً مـن ألفاظـه الأصلية والتي يحتمل أن يكون لها معنـى آخـر لـم يتنبـه لـه الـراوي وخصوصاً مع طول سلسلة الرواة التي قد تتضمن في بعـض الأحيـان لسبعة أو ثمانية أفراد.

وإذا أضـفنا صـعوبة الوقـوف علـى عدالـة الرجـال وخـصوصاً المنافقين منهم والذين لا يعلم سرائرهم سوى رب العباد، يتـضح لنـا العيب الأكبر في منهج البخاري في إخراجه لأحاديثه.

وقد قـال أحمـد أمـين تأكيـداً لـذلك: "إنّ بعـض الرجـال الـذي روى لهم غير ثقات، وقد ضعف الحفـاظ مـن رجـال البخـاري نحـو الثمانين" [١].

وفيما يلي مزيد من الروايات التي عدها البخاري صحيحة

[١] ضحي الإسلام لأحمد أمين ج ٢ ص ١١٧ ، ص ١١٨ رقم ٤ .

وألزم بها أهل السنة أنفسهم على مر العصور. فعن أبي سعيدالخدري، أنّ الرسولﷺ قال بشأن يوم الحساب: "...فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبدالله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وانا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا؟! فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن" [1].

وعن جرير بن عبدالله قال: "كنا جلوساً ليلة مع النبيﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنّكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته" [2].

ويكفي لرد الروايتين الأخيرتين، بما أخرج البخاري بسنده عن مسروق، قال: "قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمَّتاه هل رأي محمدﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أنّ محمداًﷺرأى ربه فقد كذب.

---

[1] صحيح البخاري ج ٩ ص ١٥٨ كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة .

[2] صحيح البخاري ج ٦ ص ١٧٣ كتاب التفسير باب قوله — فسبح بحمد ربك وج ٩ ص ١٥٦ باب التوحيد .

ثم قرأت ـ ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ [1] ـ ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب**﴾ [2] " [3].

ويقول العلامة العسكري: "إنّ قول الله ـ ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [4] ـ أي إلى أمر ربها ناظرة "أي منتظرة وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب لأبيهم" ﴿**واسأل القرية التي كنا فيها**﴾ [5] "أي واسأل أهل القرية". قد (أمر) في تلك الآية، وفي هذه الآية (أهل)، وهكذا تؤول سائر الآيات التي ظاهرها يدل على أن الله تبارك وتعالى جسم" [6].

ومن الإسرائيليات الأخر التي وجدت في كتاب البخاري ما روي عن عبدالله قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنّا نجد أنّ الله يجعل السماوات على أصبع، والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلائق على أصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه

---

[1] الانعام : ١٠٣.

[2] الشوري : ٥١.

[3] صحيح البخاري ج ٦ ص ١٧٥ كتاب التفسير باب سورة النجم.

[4] القيامة : ٢٢.

[5] يوسف : ٨٢.

[6] معالم المدرستين ج ١ ص ٣١.

تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ [1] [2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ : "إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحيّنوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنّها تطلع بين قرني شيطان، أو الشيطان، لا أدري أي ذلك" [3].

وأنا لا أدري كيف يمكننا التصديق بمثل هذه الخرافات؟ وهذه أخرى عن أبي ذر الغفاري قال: "قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها. وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها. فذلك قوله تعالى: ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها ذلك**

---

[1] الزمر : ٦٧ .

[2] صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٧ كتاب التفسير باب — و ما قدروا الله حق قدره – .

[3] صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٩ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده .

تقدير العزيز العليم﴾ [1]. [2]

وعن عمر بن الخطاب قال: "أما علمت أنّ النبيﷺ قال: إنّ الميت ليعذب ببكاء الحي" [3] بالرغم من أنّ الله تعالى يقول: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ [4]؟

وروي عن عبدالله قال: "ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة.

فقال: بال الشيطان في اذنه" [5].

وعن جابر بن عبدالله رفعه قال: "خمروا الآنية وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، واكفتوا صبيانكم عند العشاء، فإن للجن انتشاراً وخطفة، واطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت" [6].

ونكتفي بهذا القدر من الروايات والتي يوجد غيرها الكثير مما

---

[1] يس: ٣٨.

[2] صحيح البخاري ج٤ ص١٣١ كتاب بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر بحسبان.

[3] صحيح البخاري ج٢ ص١٠٢ كتاب الجنائز.

[4] الإسراء: ١٥.

[5] صحيح البخاري ج٢ ص٦٦ كتاب التهجد.

[6] صحيح البخاري ج٤ ص١٥٧ كتاب بدء الخلق.

يضع علامة استفهام كبيرة أمام البخاري وصحيحه، وأول ما يترتب على إثباتنا خطأ المقولة الشائعة بصحة جميع ما أخرج في هذا الصحيح هو عدم صلاحية أي حديث فيه ليكون حجة لمجرد إعطاء الشيخ البخاري له صفة الصحة. ولذلك فإنّه يلزمنا إعادة النظر في العقائد التي أخذت بناء على بعض أحاديثه مثل إمكانية رؤية الله تعالى ووضع قدمه في جهنم، وعدم اكتمال عصمة النبي وعدم حفظه جميع القرآن، وفقأ موسى لعين ملك الموت وغيرها الكثير الكثير، مما أخذ مكان الاعتبار والتصديق بالرغم مما فيها من شبهات وخرافات تتخذ مطاعن على دين الإسلام، وهكذا بالنسبة لكتب الحديث الأخرى.

ونتيجة لذلك أيضاً، فإنّه يلزمنا مراجعة تاريخنا الإسلامي وإعادة النظر في كثير مما رواه البخاري وغيره من رجال الحديث حول مكانة الصحابي هذا أو ذاك، وخصوصاً مع وجود تلك المنازعات التي حصلت بينهم والتي لا زالت آثارها واضحة لأيامنا هذه بوجود مذاهب مختلفة فرقت المسلمين وأضعفتهم.

الفصل الخامس

الزواج المؤقت

وهـو مـا يعـرف بـزواج المتعـة وهـو "أن تـزوج المـرأة نفـسها للرجل بمهر معلوم إلى أجل مسمى بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الشرعية، صيغته بأن تقول المرأة للرجل بعد الاتفاق والتراضـي علـى المهر والأجل "زوجتك نفسي بمهر قدره ـ كذا ـ إلى ـ الأجـل المعلـوم حيث تسمي مدة معينة على الـضبط ـ" فيكـون جـواب الرجـل علـى الفور: (قبلت)، وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقـود، وبتمـام شروط العقد، تصبح المرأة زوجـة للرجـل، والرجـل زوجـاً لهـا إلـى منتهى المدة المعينة في العقد، ولهما أن يجدداه إلى فتـرة أخـرى أو حتى إلى أبد العمر إذا شاءا، ويجب على الزوجة أن تعتد بعد انقضاء المدة بقرءين (حيضتين) إذا كانت ممن تحيض، وإلاّ فبخمـسة وأربعـين يوماً، وولد المتعة ذكراً أو انثى يلحق بأبيه" [1] .

---

[1] الفصول المهمة الإمام شرف الدين : ص ٦٣.

وهذا النوع من الزواج مما يُشنَّع به على الشيعة لاعتقادهم بجوازه، ولكن السؤال هنا: من أين جاء الشيعة بتشريع هذا النوع من الزواج؟ وهل هذا النوع من التشريع مما يجتهد بتحليله وتحريمه؟ وما هي أدلّة ذلك من الكتاب الكريم والسّنة المطهرة؟ وللإجابة على كل ذلك نقول:

إنّ جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم يجمعون على أنّ هذا النوع من الزواج مما شرع في صدر الإسلام، وقد أخرج البخاري بالرواية عن ابن عباس قوله:

"كنا نغزو مع النبيﷺ ، وليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ - ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ﴾[1] "[2].

وقد نزلت الآية: ﴿ **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة** ﴾[3].

في هذا النوع من الزواج، حيث ذكر معظم مفسري أهل السنة أنّ الاستمتاع المقصود في هذه الآية هو نكاح المتعة، وكان ابن

---

[1] المائدة : ٨٧.

[2] صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٦ كتاب التفسير باب قوله – (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)

[3] النساء : ٢٤.

عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير يقرأون هذه الآية هكذا: "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن" [1]، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره موضحاً ذلك:

"ومن البعيد أن يؤمن هؤلاء بتحريف القرآن، فلابد أن يراد بذلك التفسير لا القراءة..."، ولكن الطوائف الإسلامية اختلفت بشأن دوام حلية هذا النوع من النكاح وأصبحت المعضلة هي: هل حرم نكاح المتعة أم بقي على حله؟

فالحديث التالي يثبت بما لا يقبل أي شك أنّ الرسول ﷺ قد مات دون أن ينهى عن نكاح المتعة:

عن عمران رضي الله عنه قال: "نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء" [2].

حيث تشير الرواية أعلاه إلى أنّ رجلاً قد اجتهد برأيه في هذا الزواج، ومن صحيح البخاري أيضاً وتحت باب التمتع على عهد رسول الله ﷺ ، جاءت نفس الرواية السابقة ولكن مقطوعة كما يلي:

---

[1] تفسير اين كثير ج ١ ص ٤٨٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١٧٩ ، قراء اين مسعود .

[2] صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٣ كتاب التفسير باب فمن تمتع بالعمرة إلي الحج .

عــن عمــران رضي الله عنه : "تمتعنــا علــى عهــد رســول الله صلى الله عليه وسلم ونــزل القرآن، وقال رجل برأيه ما شاء" [1] .

وقد جاء في شرح الباري على صحيح البخاري أنّ الرجل المقصود هنا هو الخليفة عمر بن الخطاب [2] رضي الله عنه . وتأكيداً لذلك ما يرويه مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي نضرة قال:

"كنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما" [3] .

وفي صحيح مسلم أيضاً بالإسناد إلى عطاء قال:

"قدم جابر بن عبدالله معتمراً فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء، ثم ذكروا المتعة فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر" [4] .

---

[1] صحيح البخاري ج٢ ص١٧٦ كتاب الحج.

[2] فتح الباري على صحيح البخاري ج٣ ص٣٣٩، شرح النووي على صحيح مسلم ج٨ ص٢٠٥.

[3] صحيح مسلم ج٢ ص١٠٢٣ ح١٧ كتاب النكاح باب المتعة بشرح النووي ج٩ ص١٨٤.

[4] صحيح مسلم ج٢ ص١٠٢٣ ح١٥ كتاب النكاح باب المتعة بشرح النووي ج٩ ص١٨٣.

وأخرج أيضاً مسلم في صحيحه بالإسناد إلى جابر بن عبدالله أنّه قال:

"كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث" [1].

وقصة عمرو بن حريث هذا هي أنّ امرأة فقيرة طرقت بابه متوسلة إليه بأن يعطيها طعاماً تسد رمقها به، فأبى ذلك الرجل أن يعطيها شيئاً إلا إذا أعطته نفسها زاعماً أنّ ذلك هو نكاح المتعة، وعندما قبلت المرأة هذا الشرط مكرهة وعلم الخليفة عمر بذلك، غضب غضباً شديداً، مما دفعه إلى هذا التحريم، بل قرر رجم كل من يمارس هذا النكاح، كما يظهر ذلك من الرواية التي أخرجها مسلم في صحيحه بالإسناد إلى أبي نضرة قال:

" كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكرت ذلك لجابر فقال: تمتّعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال: إن الله يحل لرسوله بما شاء، فأتموا الحج والعمرة، وابتّوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته بالحجارة" [2].

---

[1] صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٢٣ ح ١٦ كتاب النكاح باب المتعة بشرح النووي ج ٩ ص ١٨٣ .

[2] صحيح مسلم ج٢ ص٨٨٥ ح١٤٥ كتاب الحج باب مذاهب العلماء في تحلل المعتمر المتمتع، شرح النووي ج٨ ص١٦٨.

ومن صحيح الترمذي عن عبدالله بن عمرو وقد سأله رجل من أهل الشام عن متعة الحجّ فقال: هي حلال، فقال: إنّ أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر: "أرأيت إن كان أبي ينهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ، تترك السنة وتتبع قول أبي" [1].

وقد اشتهر حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه برأيه أنّ آية المتعة لم تنسخ، كما يورد ذلك الزمخشري في تفسيره الكشاف، حيث ينقل عن ابن عباس أنّ آية المتعة من المحكمات. وفي صحيح البخاري ما يؤكد ذلك أيضاً، فعن أبي جمرة قال:

"سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء فرخص، فقال له مولى: إنّما ذلك في الحال الشديد، وفي النساء قلة أو نحوه، فقال ابن عباس: نعم" [2].

وقد أخرج الطبراني والثعلبي في تفسيريهما بالإسناد إلى علي عليه السلام أنّه قال: "لولا أن نهى عمر عن المتعة ما زنى إلاّ شقي" [3] أي قليل.

(وبالرغم من وضوح كل تلك الأدلة وضوح الشمس في رابعة النهار بشأن دوام حلية زواج المتعة، فإنّ الذي عليه غالبية جمهور

---

[1] صحيح الترمذي ج٣ ص١٨٥ ح٨٢٤.

[2] صحيح البخاري ج٧ ص١٦ كتاب النكاح.

[3] تفسير الطبراني ج ٥ ص ٩ ، تفسير الثعلبي .

أهل السنة اليوم عكس ذلك، وإنّ الآية الخاصة في هذا النكاح يزعمون أنّها نسخت، وقد اختلفوا في الناسخ، فمنهم من قال بأنّه آية من الكتاب، ومنهم من قال أنّ الناسخ روايات من السنة، ونرد كلا الرأيين بالأحاديث السابقة القطعية الثبوت والتي دلت على أنّ الرسول ﷺ مات دون أن ينهى عن المتعة، وأما من قال بأن الناسخ هو آية من الكتاب هي: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**﴾ [1] ، وهذه الآية "مكية"، واية المتعة "مدنية" أو حكم تشريع زواج المتعة "مدني" والسابق لا ينسخ اللاحق.

وأما من قال بأن الناسخ كان السنة المروية عن الرسولﷺ، فإنّ الأحاديث التي يزعمون بأنها ناسخة، تتناقض مع بعضها البعض فمنهم من قال إنّها نسخت في خيبر، وآخر في أوطاس وثالث يوم فتح مكة، ورابع في غزوة تبوك، وخامس في عمرة القضاء وسادس في حجة الوداع، وما اضطراب تلك الروايات وتناقضها إلاّ دليلاً على عدم صحتها، هذا بالإضافة إلى أنّ تلك الروايات لا تخرج عن كونها من أخبار الآحاد التي لا تصلح أن تكون ناسخة لحكم نصّ عليه القرآن وثبت تشريعه بإجماع المسلمين، لأن النسخ لا يقع بخبر الآحاد إجماعاً، والآية لاتنسخها إلاّ آية بدليل قوله تعالى: ﴿ **وما**

[1] المؤمنون: ٥.

نسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [١] .

ولذلك فإنّه مع وجود كل تلك النصوص الصريحة والتـي تثبـت مشروعية نكاح المتعة وعدم نهي النبيﷺ عنهـا، وبقـاء حلهـا حتـى نهى الخليفة عمر عنها زمن خلافته، فإننا لا نجد حلاً لهذه العقدة إلاّ أنّ الخليفة عمر قد اجتهد برأيه لمصلحة رآها ـ بنظره ـ للمسلمين في زمانه وأيامه، اقتضت أن يمنع من استعمال المتعة منعـاً مـدنياً لا دينيـاً لمصلحة زمنية، حيث أنّ الخليفة عمر رضي الله عنه أجلّ مقاماً وأسمى إسـلاماً من أن يحرّم ما أحلّ الله أو أن يدخل في الدين ما ليس من الدين وهـو يعلم أنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة، فلابد أن يكـون مـراده المنـع الزمنـي والتحـريم المـدني لاالديني، وموقفه المتشدد بشأن نكاح المتعة لـيس الأول مـن نوعـه، فقدعرف عنه الشدة والخشونة في عامة أموره ويجتهد في ذلـك مبتغيـاً المصلحة العليا ـ بنظره ـ للإسلام وإقامة الشرائع) [٢] .

ومن الأمثلة على اجتهاد عمر في بعض الأحكام وتشدده فيها هو عنـدما أمـر المـسلمين أن يـؤدوا نافلـة رمـضان (مـا يـسمى بـصلاة التراويح) جماعة بعد أن كانت تؤدى فرادى على عهدي رسول

---

[١] البقرة: ١٠٦.

[٢] بتصرف عن كتاب أصل الشيعة و أصولها للعلامة محمد آل كاشف الغطاء : ص ١٠١ .

اللهﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ، وقد أخرج البخاري بسنده إلى أبي هريرة: "إنّ الرسولﷺ قال: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. قال ابن شهاب: فتوفي رسول اللهﷺ والناس على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما.قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ؛ قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله " [1] .

وقد اجتهد أيضاً في تلك النافلة (التراويح) بزيادة عدد ركعاتها إلى عشرين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما كان رسول اللهﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة" [2] .

ولكن بعض المعاصرين للخليفة عمر، ومن بعده بعض المحدثين البسطاء، لما غفلوا عن معرفة سر نهي الخليفة عن زواج

---

[1] صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٨ كتاب صلاة التراويح بابا فضل من قام رمضان .

[2] صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٧ كتاب التهجد .

المتعة استكبروا منه أن يحرم ما أحلّ الله، واضطروا إلى استخراج مبرر لذلك، فلم يجدوا سوى دعوى النسخ من النبيﷺ بعد الإباحة فارتبكوا ذلك الإرتباك واضطربت كلماتهم ذلك الإضطراب.

وانظر في الرواية التالية لترى مدى الإضطراب والإرتباك الذي نتحدث عنه، والأدهى أن واضعيها نسبوها إلى عليعليه السلام، حيث أخرج البخاري في صحيحه: "أن علياً رضي الله عنه قيل له: إنّ ابن عباس لا يرى بمتعة النساء بأساً، فقال: إن رسول اللهﷺ نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأنسية، وقال بعض الناس: ان احتال حتى تمتع، فالنكاح فاسد، وقال بعضهم: النكاح جائز، والشرط باطل" [1]، فلو فهم هؤلاء علة نهي الخليفة عنها لأغناهم عن كل ذلك التكلف والإرتباك.

كان فيما سبق النظر في زواج المتعة من وجهتها الدينية والتاريخية. أما النظر فيها من الناحية الأخلاقية والإجتماعية، فقد جاء تشريعها رحمة للبشر ورخصة للكثيرين لاسيما المسافرين في طلب علم أو تجارة أو جهاد أو مرابطة ثغر، ومع امتناع الزواج الدائم لما له غالباً من التبعات واللوازم والتي لا تتمشى مع حالة المسافرين وخصوصاً وهم في ريعان الشباب وتأجج سعير الشهوة، وهم في ذلك أمام خيارين: إمّا الصبر ومجاهدة النفس الموجب للمشقة التي

[1] صحيح البخاري ج ٩ ص ٣١ كتاب الاكراه باب الحيلة في النكاح .

تؤدي إلى أمراض مزمنة وعلل نفسية مهلكة وغير ذلك من الأضرار التي لا تخفى على أحد. وإما الوقوع في الزنا الذي ملأ الدنيا بالمفاسد والأضرار.

وهذه الأسباب هي نفسها التي دفعت بأحد الوعاظ الخليجيين ويدعى الشيخ أحمد القطان بأن يفتي للطلبة العرب في الفليبين بجواز ممارسة نكاح مؤقت ولكن بإسم مختلف سماه "زواج بنية الطلاق"، وشرط هذا النكاح أن يضمر الزوج في نفسه الطلاق ودون أن يعلم أحداً بهذه النية، أي إنّه نكاح مؤقت في نية الزوج ودائم حسب علم ونية الزوجة، حيث يقوم الزوج بطلاق زوجته عند انتهاءالمدة التي أضمرها في نفسه.

وبالرغم من اعتراف مبتدعي هذا النوع من الزواج بأنّه يتضمن الكذب على الزوجة وخداعها، وبالرغم من عدم وجود أي دليل عليه من الكتاب أو السنة النبوية فإنهم يبررون تشريعهم له بالقول بأن ضرره على كل حال يبقى أخف وطأة من مفاسد الزنا!

وقد أفتى شيخنا السالف الذكر بهذا بعد أن سئل عن رأيه بنكاح المتعة وفتوى ابن عباس بجوازه، حيث كان جوابه بحرمة هذا النكاح وأنّ ابن عباس قد اخطأ بتلك الفتوى، وأضاف معلقاً: "لو تتبعنا زلة العلماء لتزندقنا"!!

وهكذا أصبحت بدعة "الزواج بنية الطلاق" على رأي القطان

بـديلاً عـن نكـاح المتعـة الـذي جـاء حلـه فـي الكتـاب والـسنة ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيـر**﴾ [1] ولا حـول ولا قـوة إلاّ بالله.

متعة الحج:

(وأما متعة الحـج فقـد عملهـا رسـول الله ﷺ وأمـر بهـا مـصداقاً لقوله تعـالى: ﴿**فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج... ذلك لمن لـم يكـن أهله حاضري المسجد الحرام**﴾ [2] . والمقصود بذلك هو الاعتمار في أشهر الحج قبل الحج، وهو فرض على من لـم يكـن أهلـه حاضـري المسجد الحرام. وقد قيل عنه التمتع بـالحج لمـا فيـه مـن المتعـة: أي اللذة بإباحة محظورات الاحرام في المدة المتخللة بـين الإحـرامين ـ إحرام للعمرة وإحرام للحج ـ) [3] وهذا مـا كرهـه الخليفـة عمـر أيـضاً ونهى عنه بالرغم من أنّ الرسول ﷺ مـات دون أن ينهـى عنهـا، فقـد أخرج البخاري بالإسناد إلى سعيد بن المسيب قال:

"اختلـف علـي وعثمـان رضـي الله عنهمـا وهمـا بعـسفان فـي المتعة، فقال علي: ما تريد إلاّ أن تنهى عن أمر فعله النبي ﷺ فلما

---

[1] البقرة: ٦١.

[2] البقرة: ١٩٦.

[3] الفصول المهمة للإمام شرف الدين .

رأى ذلك علي أهلّ بهما جميعاً" [1].

وانظر في الحديث التالي الذي أخرجه البخاري في صحيحه والذي يظهر بوضوح أنه كان هناك من يجتهد في نصوص النبيﷺ الصريحة فعن الحكم قال:

"شهدت عثمان وعلي رضي الله عنهما، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما. فلما رأى عليّ أهلّ بهما: لبيك بعمرة وحجة، وقال: ما كنت لأدع سنة النبيﷺ لقول أحد" [2].

والرجل الذي أشار إليه عليعليه السلام في قوله أعلاه هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما بيّنا ذلك في مواضع سابقة، وأمّا عذر عثمان في رأيه ذلك هو أنّه عندما أخذت البيعة له كخليفة، اشترط عليه عبدالرحمن بن عوف بأمر من الخليفة عمر قبل موته أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين. فالنهي عن المتعتين كان يعتبر من ضمن سيرة الشيخين الذي لا يستطيع عثمان أن يحيد عنها، وإلاّ لما كانت الخلافة لتؤول إليه لو لم يبايع على ذلك الشرط. وقد تواتر عن الخليفة عمر رضي الله عنه قوله: "متعتان كانتا على عهد رسول اللهﷺ وأنا أنهى عنهما" [3]، ويقصد بذلك متعتي النساء والحج.

---

[1] صحيح البخاري ج٢ ص١٧٦ كتاب الحج.

[2] صحيح البخاري ج٢ ص١٧٥ كتاب الحج.

[3] التفسير الكبير للرازي ج٥ ص١٦٧.

وكلام الخليفة عمر هذا يظهر بأن التصرف في حكمهما، إنّما هو منه لا من سواه، حيث روى أنّ المتعتين كانتا على عهد النبيﷺ، ولم يرو نهيهﷺ عنهما، بل أسند النهي عنهما إلى نفسه بقوله: "...وأنا أنهى عنهما".

ورحم الله من قال بشأن قول الخليفة عمر السابق:

"قبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه".

والحقيقة أنّ من يتصفح تأريخنا الإسلامي بموضوعية وبعيداً عن التعصب، فإنّه سيجد الكثير من الأحكام الأخرى (وإضافة إلى المتعتين والتراويح) مما هو من اجتهاد الخليفة عمر رضي الله عنه وبالرغم من وجود ما يعارضها من نصوص ثابتة للرسولﷺ. إلاّ أنّ أهل السنة قد تقبلوا هذه الإجتهادات عبر الأجيال ظنّاً منهم أنّها من صنع الرسولﷺ !!

الفصل السادس

المهدي المنتظر والفتن

تتفق جميع الفرق الإسلامية على ظهور رجل في آخر الزمان يملأ الدنيا بالقسط والعدل، ويقيم دولة الحق لتشمل جميع أرجاء المعمورة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ **ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾ [2] وكذلك: ﴿ **ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون... ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ [3].

وقد بين المصطفىﷺ أنّ هذا الرجل المنتظر هو من أهل بيته بقوله: "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي

[1] الانبياء : ١٠٥.

[2] القصص : ٥.

[3] التوبة : ٣٢ – ٣٣.

يواطىء اسمه اسمي" [1].

وعن أبي سعيد الخدري، قال الرسولﷺ : "لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً" [2].

وعن أبي هريرة، قال الرسولﷺ : "لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوله الله عزَّوجلّ حتى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية" [3].

وعن أم سلمة، قال رسول اللهﷺ : "المهدي من عترتي من ولد فاطمة".

وقد أخبر الرسولﷺ أنّ عيسى عليه السلام الذي سيظهر في آخر الزمان أيضاً سيصلي وراء المهدي، فعن أبي هريرة، قال الرسولﷺ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم" [4].

وقال الحافظ في شرح صحيح البخاري: "تواترت الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأمة وأنّ عيسى بن مريم سينزل ويصلي خلفه" [5].

---

[1] صحيح الترمذي ج ٤ ص ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ ، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٧ ح ٤٢٨٢ ، مسند أحمد ج ١ ص ٣٧٦ و ٣٧٧.

[2] مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٧٧ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٣٦.

[3] سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٩٢٨ ح ٢٧٧٩ ، باب الجهاد.

[4] صحيح مسلم ج ١ ص ١٣٧ ح ٢٤٤ باب نزول عيسي بن مريم.

[5] فتح الباري ج ٦ ص ٣٨٥.

وقد أصدر المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي الفتوى التالية بشأن المهدي المنتظر والمؤرخة في ٣١ أيار ١٩٧٦:

"المهدي عليه السلام هو محمد بن عبدالله الحسني العلوي الفاطمي المهدي الموعود المنتظر، موعد خروجه في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة الكبرى يخرج من المغرب ويبايع له في الحجاز في مكة المكرمة بين الركن والمقام بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود الملتزم.

ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحكم العالم كله ويخضع له الرقاب بالإقناع تارة وبالحرب أخرى.

وسيملك الأرض سبع سنين وينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب لد بأرض فلسطين. وهو آخر الخلفاء الراشدين الإثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح....

وإنّ الإعتقاد بخروج المهدي واجب وإنّه من عقائد أهل السنة والجماعة ولا ينكره إلا جاهل بالسنة ومبتدع في العقيدة" [1].

وهكذا فإنّ أهل السنة يتفقون مع الشيعة بأنّ الإمام المهدي هو آخر الخلفاء الإثني عشر الذين بشر بهم الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث

---

[1] موامرة المتاجرين بالدين : ص ٢٩.

كثيرة، ويتفق الفريقان كذلك حول معظم النقـاط الأخـرى المتعلقـة بالإمام المنتظر. وأمّا أهم الإختلافات بينهما بشأنه فهي:

الأول:يعتقد معظم أهل السنة أنّ الإمام المهديعليه السلام سـيولد فـي آخر الزمان بينما يعتقد الشيعةُ بأنّه ولد في عـام ٢٥٥ هـ لأبيـه الإمـام الحسن العسكري وهو حادي عشر أئمة أهل البيت، ولكن الله تعـالى غيّبه عـن العيـون لحكمـة رآهـا، ولا يـزال حيـاً وسـيظهره فـي آخـر الزمان.

الثاني: يعتقد أهل السنة كما فـي الفتـوى أعـلاه أنّ المهـدي هـو من ولد الحسنعليه السلام وأنّ اسم أبيه هو عبدالله استناداً إلى روايـة عنـدهم "....يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي " بينمـا يعتقـد الـشيعة أنّ المهدي ينحدر نسله من الإمام الحسينعليه السلام وقـد ولـد لأبيـه الحـسن العـسكري، وأن الروايـة الأخيـرة هـذه يروونهـا: "... يـواطىء اسـمه اسمي واسم أبيه اسـم ابنـي" إشـارة إلـى حفيـد الرسـولصلى الله عليه وسلم الحـسن السبط عليه السلام .

وحاول بعض الكتاب من أهل السنة التشنيع والطعـن فـي الـشيعة لإعتقادهم بولادة الإمام المنتظر وتـسلمه مقاليـد الإمامـة وعنـده مـن العمر ٥ سنوات. ويرجع هذا التشنيع في المقام الأول إلى التعـصب لمـا هم عليه من اعتقاد، فكل ما يخالف اعتقادهم أو مـا ألفـوه أو ورثـوه فإنهم يحكمون في الحال ببطلانه دون النظر إلى ما احتج به غيـرهم. ورداً على ذلك نقول:

أولاً: إنّ هناك كثير من علماء أهل السنة يعتقدون بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري وأنّه لا يزال حياً حتى يظهره الله موافقين بذلك ما يقوله الشيعة الإمامية الإثني عشرية. ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ محي الدين ابن العربي في فتوحاته المكية.

٢ ـ سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة الخواص.

٣ ـ عبدالوهاب الشعراني في كتابه عقائد الأكابر.

٤ ـ ابن الخشاب في كتابه تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.

٥ ـ محمد البخاري الحنفي في كتابه فصل الخطاب.

٦ ـ أحمد بن إبراهيم البلاذري في كتابه الحديث المتسلسل.

٧ ـ ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة.

٨ ـ العارف عبدالرحمن في كتابه مرآة الأسرار.

٩ ـ كمال الدين بن طلحة في كتابه مطالب السؤول في مناقب الرسول.

١٠ ـ القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة. وغيرهم [1] .

ثانياً: لا يوجد أي دليل شرعي يثبت عكس ذلك، وغيبة

---

[1] أخذت هذه المصادر من كتاب " لأكون مع الصادقين للعلامة الدكتور محمد التبجاني ص ١٩٦ " .

الإمام المنتظر لها ما يشابهها الكثير من المعجزات التي أخبر بها القرآن الكريم، فنوح عليه السلام لبث في قومه ٩٥٠ سنة يدعوهم ﴿ **فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين**﴾ [١] وقد عاش بالطبع أطول من ذلك، ولبث أهل الكهف ٣٠٩ سنوات وهم نائمون، ورفع الله تعالى عيسى عليه السلام إليه ونجاه من القتل وسيعيده إلى الدنيا في آخر الزمان أيضاً، والخضر عليه السلام لا يزال حياً غائباً عن العيون.

وأمّا بالنسبة لصغر سن المهدي عليه السلام عند تسلمه الإمامة بعد وفاة أبيه الحسن العسكري حادي عشر أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ هناك معجزات تماثلها بل وأكبر منها، فقد جعل الله عيسى بن مريم عليه السلام نبياً وهو في المهد رضيعاً: ﴿ **فأشارت إليه * قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ قال: إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً**﴾ [٢]، وأعطى الله تعالى كذلك الحكم ليحيى عليه السلام وهو صبياً ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً**﴾ [٣].

وإذا قيل بأن هذه المعجزات كانت للأنبياء، فنقول بأنّه ليس هناك أي دليل شرعي يشير إلى توقف المعجزات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، والمعجزات ليست للأنبياء فقط، فأهل الكهف لم يكونوا أنبياء، وحتى سيد الشياطين "إبليس" فإن الله قد أمد في عمره حتى

---

[١] العنكبوت : ١٤.

[٢] مريم : ٢٩ – ٣٠.

[٣] مريم : ١٢.

قيام الساعة. ومن ناحية أخرى، فإنّ الـذين يعترضـون علـى الإعتقـاد بغيبـة الإمـام المنتظـر فهـو راجـع أيـضاً لجهلهـم بمقامـه وحقيقتـه فالمهدي عليه السلام سيكون إماماً لعيسى عليه السلام الذي جعله الله نبياً وهـو فـي المهد رضيعاً، وهكذا فإنه لو علم أهل السنة وتيقنوا بأن الله تعالى هو الـذي اختـار الأئمـة الإثنـي عـشر مـن أهـل البيـت ليكونـوا خلفـاء للرسول صلى الله عليه وآله وحفظة للرسالة المحمديـة، فـإنّ اسـتغرابهم بمـا أحاطـه الله من عناية بخاتم هؤلاء الأئمة ـ حتى يظهره ويـتم علـى يـده نـصر الحق المبين وإظهاره على الدين كله ـ سيزول ولن يكون لـه أي مبـرر. فأغلبية أهل السنة لا يستغربون لما أخذوه من طريقهم أو من كل مـا ينسجم مع مذهبهم بل يضعونه محل القبول والتسليم، وهذا لـيس فقـط بشأن تلك المعجزات التي ورد ذكرها فـي القـرآن الكـريم والتـي لا يـستطيع أحـد بـالطبع أن يثيـر أي شـبهة حولهـا، وإنّمـا يـشمل هـذا الإعتبار مـا أخـذوه مـن روايـات صـحيحي البخـاري ومـسلم، فكمـا يروون مثلاً نزول الله إلى السماء الدنيا آخر الليـل وكـشفه عـن سـاقه ووضع قدمه في جهنم يوم القيامة (والعياذ بالله)، أو احتمال سـهو النبـي ووقوعه تحت تأثير السحر ونسيانه للقـرآن أو فقـأ موسـى عليه السلام لعـين ملك الموت، ورجحان إيمان أبي بكر على إيمان الأمـة بكاملهـا، أو اختراق رؤية عمر للآفاق آلاف الأميال والتي عرفـت قـصة "سـارية" المشهورة عند أهل السنة، أو قولهم "لو كان نبي بعـدي لكـان عمـر" أو قولهم بأن الملائكة تستحي من عثمان وإلى غير ذلك الكثير الكثير من

الحكايات التي يتقبلها غالبيتهم كما هـي وبـالرغم مـن وجـود العلـل الكثيـرة فيهـا، وأمّـا مـا يعتقـده غيـرهم فيـستنكرونه جملـة وتفـصيلاً وينفونه دون أي تأمل أو بحث. وأنا متأكد بأنه لو وجدت عقيـدة غيبـة الإمام المنتظر عند أهل السنة لما أحاطوها بأية شبهة أو تساؤل!

وفي هذا المقام تحضرني عدة طرائف صادفتني خـلال حـديثي مع بعض الأخوة، فأحدهم وفي سياق استنكاره لـزواج المتعـة الـذي يعتقد الشيعة بجوازه لم يكن يعلم بأنّ الرق لم يحرّم في الإسلام، بل كان يطعن في ذلك لعدم انسجام ذلك مع عقله، وعندما بينـت لـه أنّ أهل السنة جميعاً يقولون بعدم حرمته فإنّـه سـلم بـذلك علـى الفـور، وأمّا نكاح المتعة وبـالرغم مـن رؤيتـه لمـا يؤيـد عـدم تحريمهـا مـن صحيح البخاري فإنّه أصرّ علـى عـدم الإقتنـاع بهـا لا لـشيء إلاّ لأن عموم أهل السنة يعتقدون بحرمتها!؟! والأطرف من ذلك أنّني كنـت أقول للآخرين أثناء دفاعي عما اهتديت إليه من إتبـاع لـصراط أهـل البيت أنّ الشيعة يعتقدون بنسيان الرسولﷺ لبعض آيات القرآن أو تمكن أحد اليهود من سحره أو قصة موسى مع ملك الموت وغير ذلك فإنّهم كانوا يستنكرون ويسخرون من هذه الإعتقادات، وعندما بينت لهم بأنّ هذا بعض ما يشنّع به الـشيعة علـى أهـل الـسنة والمثبـت فـي أصح كتب الحديث عندهم كصحيح البخاري مثلاً، فإن بعـضهم كـان ينقلب ليدافع عنها ويحاول أن يجد مبرراً لها ويصرّ على عدم التنازل عنها وكأنها أصل من أصول الإعتقاد. وما ذاك إلاّ ما يسمى بالتعصب

المذهبي الأعمى الذي لن يجدي بمواجهة الحقيقة لأن إغماض العين عنها لا يعني انتفاء وجودها، وإنّ مثل هؤلاء كمثل النعامة التي تعرفون.

وخلافاً لما يتصوره البعض، فإنّ الإمام المنتظر وبالرغم من اعتقاد جميع الفرق الإسلامية بظهوره في آخر الزمان فإنه سيختلف عليه حين ظهوره وسيكون موضع امتحان كبير للمسلمين كافة، بل ولأصحاب جميع الرسالات السماوية فاليهود والنصارى أيضاً يعتقدون بقدوم المنقذ الموعود.

وقد أخبرت الروايات أنّ المسلمين سيُفتنون بالدجال الذي سيحارب المهدي حتى أنّ كثيراً منهم سيقاتل في صفه والذي تصفه بعض الروايات بالأعور الدجال.

والحقيقة كما أراها أبعد مما يعتقده بعض أهل السنة بأنّه سيكون مكتوباً على جبين الدجال كلمة "كافر"، حيث أنّه من المستبعد أن يُفتن به أحد من المسلمين مادام بإمكانه قراءة تلك الكلمة التي تدل على حقيقته، وأمّا زعم بعضهم بأنّ المؤمن فقط هو الذي سيتمكن من قراءة تلك الكلمة على جبينه، فهذا أيضاً مرفوض لأنّه يعني بأنّ الإمتحان يكون قد حُسمت نتيجته قبل رؤية الدجال، ولا يوجد أي معنى في هذه الحالة للفتنة التي أخبرت عنها الروايات، ونفس الأمر ينطبق بالنسبة لإدعائهم بأنّه سيكون أعور العين.

ولهذا السبب فقد كنت سابقاً أتعجّب كيف يمكن للمسلمين

عدم مبايعة المهدي عند ظهوره بل ومحاربته بالرغم من انتظارهم لظهوره ويقينهم بأنّ الله ناصره!؟؟ إلاّ أنّه وبعد بحثي لمسألة الخلاف بين أهل السنة والشيعة وعلمت ما لهذا الرجل من علاقة وثيقة بما يعتقده الشيعة وخصوصاً قولهم بأنّه إمامهم الثاني عشر، فقد بدت لي هذه الفتنة بصورة أكثر جلاء من قبل. فعندما يظهر الإمام المنتظر على حسب مواصفات الشيعة، فإنّهم سيبايعونه في الوقت الذي سيقول فيه المتعصبون من أهل السنة على الفور بأنّ هذا المهدي هو شيعي وليس الذي ننتظره والذي سيكون سنياً بلا شك!

ونستطيع أن نلمس آثار هذه الفتنة في حياتنا المعاصرة من خلال التشنيع والطعن الذي قام به المتعصبون من أهل السنة ضد الثورة الإسلامية في إيران ومفجرها، أو غض نظرهم عنه في أغلب الأحيان لا لشيء إلاّ لأنّه "شيعي"، ودون علم منهم غالباً بحقيقة باعثي هذه الفتنة ومؤججي نارها من أبناء جلدتنا والذين سخرهم أعداء الأمة لهذا الغرض الخبيث، وذلك بالرغم من أن الرسول ﷺ قد بشر بهذه الصحوة المباركة وباعثيها في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بالسند إلى أبي هريرة الذي قال:

كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ـ ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لنا له

رجال أو رجل من هؤلاء" [1].

وقد أشار الله تعالى أيضاً في كتابه العزيز إلى هؤلاء القوم بقوله: ﴿ **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ [2] فعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ عندما تلا هذه الآية سألوه: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بناثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب على فخذ سلمان ثم قال: "هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس" [3] وقد نبه الرسول ﷺ كذلك إلى الفئة التي ستأخذ على عاتقها خلق الفتن بين المسلمين في زماننا، فعن ابن عمر قال: "ذكر النبي ﷺ : اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا؟ قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك

---

[1] صحيح البخاري ج ٦ ص ١٨٨ كتاب التفسير باب – و آخرين منهم لما يلحقوا بهم –، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٧٢ ح ٢٥٤٦ كتاب الفضائل باب فضل أهل فارس بشرح النووي ج ١٦ ص ١٠٠.

[2] محمد : ٣٨.

[3] تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٩٦ ، و القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٨ ، و الطبري ج ٢٦ ص ٤٢ ، والدر المنثور ج ٦ ص ٦٧.

الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان" [1].

وهذه الفئة المقصودة في هذا الحديث لم أرى لها تفسيراً إلاّ بالطائفة الوهابية والتي ولد مبتدعها محمد بن عبدالوهاب في إحدى قرى نجد تسمى "العيينة"، هذه الطائفة والتي تحت غطاء التوحيد الذي جعلت منه واجهة لمقاصدها الخبيثة في رمي غيرها من الطوائف لاسيما أتباع أهل البيتعليهم السلام بالكفر والشرك، فعلى سبيل المثال فإنّهم يعتبرون التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين شركاً عظيماً بالرغم من وجود ما يناقض ذلك في صحيح البخاري ومما فعله الخليفة عمر رضي الله عنه . فعن أنس: "إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون" [2].

وأما سبب تركيز الوهابية على هذا الجانب، فهو لأن اتباع أهل البيتعليهم السلام عُرِف عنهم أكثر من غيرهم بتمسكهم واحترامهم لقدسية شخص النبي الكريمصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من بعده لأنهم يرون عظم منزلتهم عندالله تعالى، والذين لولاهم لما اهتدى بشر إلى صراط الله المستقيم ولبقي البشر على غيهم وضلالهم.

---

[1] صحيح البخاري ج٩ ص٦٧ كتاب الفتن باب الفتنة من قبل المشرق.

[2] صحيح البخاري ج ٢ ص ٣٤ كتاب الاستسقاء .

ويكفي في الرد على الوهابية ومبتدعها ما أخرجه البخاري في صحيحه أن الرسول ﷺ قال: "يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه. قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق، أو قال: التسبيد" [1].

ومعنى التسبيد هو كما جاء في الحديث الشريف "قدم ابن عباس ـ مسبداً ـ رأسه" أي حالقاً شعر رأسه [2]، وهذه الصفة اشتهر بها الوهابيون كما عرف ذلك من تاريخهم" [3].

والمهدي عليه السلام سيأتي لنصرة المستضعفين في الأرض على قوى الإستكبار كلها، فماذا تتوقعون من أعدائه؟ أو ليس إنّهم سيحاولون تسخير المنافقين من المسلمين ووعاظ السلاطين وأئمة الضلال لمحاربة هذا القادم الجديد؟

أو لم تروا في أيامنا هذه كيف استطاع حاكم العراق الذي اشتهر بفسقه وكفر طريقته بأن يغرر بملايين المسلمين الذين خرجوا يهتفون باسمه، عندما تظاهر بالإيمان والإعتماد على الله وإعلان الجهاد ضد الكفار والمشركين حتى اعتقد كثير من البسطاء بأن هذا

---

[1] صحيح البخاري ج ٩ ص ١٩٨ كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر و المنافق.

[2] مختار الصحاح للشيخ الأمام محمد بن أبي بكر الرازي : ص ٢٨٢ ط دار التراث العربي للطباعة و النشر.

[3] فتنة الوهابية ص ٧٧ ط استنبول ١٩٧٨ م.

الدجال أصبح إمام المسلمين حقاً!

وفي ذلك ما يكفي للإشارة إلى ما سيكون عليه حال المسلمين وقت تعرّضهم لحوادث أكبر وأشد، وقد بين المصطفىﷺ ما يجب على المسلمين عمله لضمان النجاة من الغرق في مستنقع هذه الفتن بعد رحيله بالتمسك بكتابه والعترة الطاهرة من أهل بيته ـ كما مر شرحه في الفصل الأول.

فعن حذيفة بن اليمان قال: "كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله. إنّا كنّا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم. دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" [١].

---

[١] صحيح البخاري ج ٩ ص ٦٥ كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

والحديث هذا يبين بكل وضوح وجوب الإلتزام بجماعة المسلمين وإمامهم، وإنّه في حال الإلتباس في الأمر وعدم إمكانية معرفة الحقيقة، فإن التوجيه النبوي يأمرنا "بالسكوت"، ويبين الحديث أيضاً أن "الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها" ليسوا من العجم وإنّما من جلدة العرب الأمر الذي يؤكد ما جاء في الأحاديث السابقة بشأن الطائفة المبتدعة.

والحقيقة أنّ هذه الفتنة التي نمر بها وقد حذرنا الرسولﷺ من مغبة الوقوع في حبائلها، فإنّه يلزمنا أن نكون في أشد حالات الحيطة والحذر باختيارنا للطريق الذي يوصلنا بأمان إلى سنة المصطفىﷺ، وخصوصاً مع وجود الطرق المتعددة والتي يصل عددها إلى ثلاث وسبعين - كما في بعض الروايات ـ وكل من هذه الطوائف تزعم أنّها الحق، إلاّ أنّ الرسولﷺ بيّن لنا أنّ واحدة منها فقط هي الناجية ومادونها فهي دون ذلك. وقد وعد الله بنصر هذه الطائفة الناجية بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله".

والمسلم بات في أيامنا حائراً ومستغرباً لكل ما يجري حوله من هذه الضجة الكبرى والفتنة العظمى وهو يرى نفسه مطالباً بإعادة النظر بإسلامه وبكثير من الحوادث الهامة في تاريخنا الإسلامي، مما يعتبر مصداقاً لقول الرسولﷺ : "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ....".

ولا شك أنّ من يمعن النظر في تأريخنا الإسلامي وإلى يومنا هذا، ويتأمل بالذي حل بأهل البيت لاسيما الأئمة منم من مصائب ومحن واستضعاف، ويفكر في سبب ضياع الحقيقة بين أهل السنة فإنه سيدرك معنى عودة الإسلام (الغريبة) والتي على ما يبدو قد بدأت فعلاً في السنوات الأخيرة وقد انقشع جزء من الظلمة التي خيّمها الظالمون على اتباع هذا الطريق على مر العصور ومصداقاً لما نطق به المصطفى الهاديﷺ :

"إنّا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي أثرة وشدة وتطريداً في البلاد حتى يأتي قوم من ههنا ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ أصحاب رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون ويعطون ما شاؤوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً على الثلج" [١] .

اللهم عجل فرجه واجعلنا من السائرين تحت لوائه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

[١] سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٦٦ رقم الحديث ٤٠٨٢ ـ ٤٠٨٨، مسند ابن ابي شيبة ج١٥ ص٢٣٥ ح١٩٥٧٣.

المحتويات